

العدد الخامس عشر تشرين اول 2012

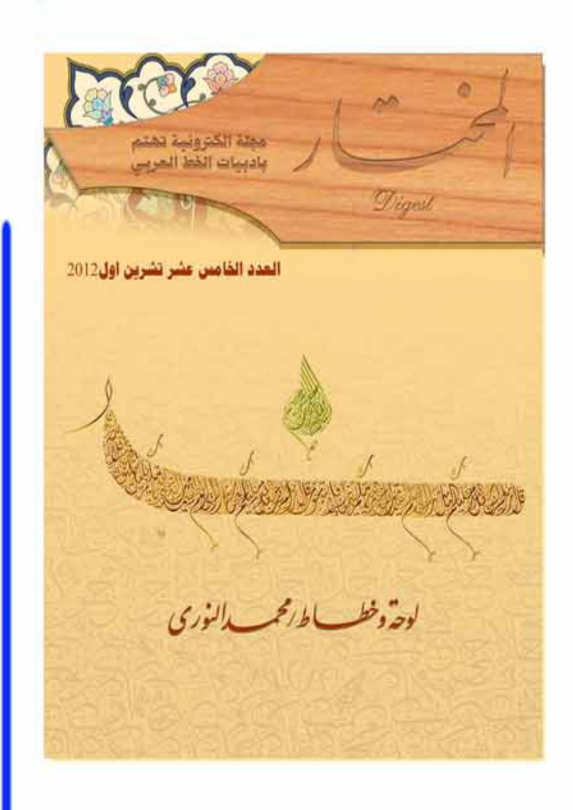
لوحة وخطاط/ محمد النوري

محتويات العدد

تشرين اول 2012



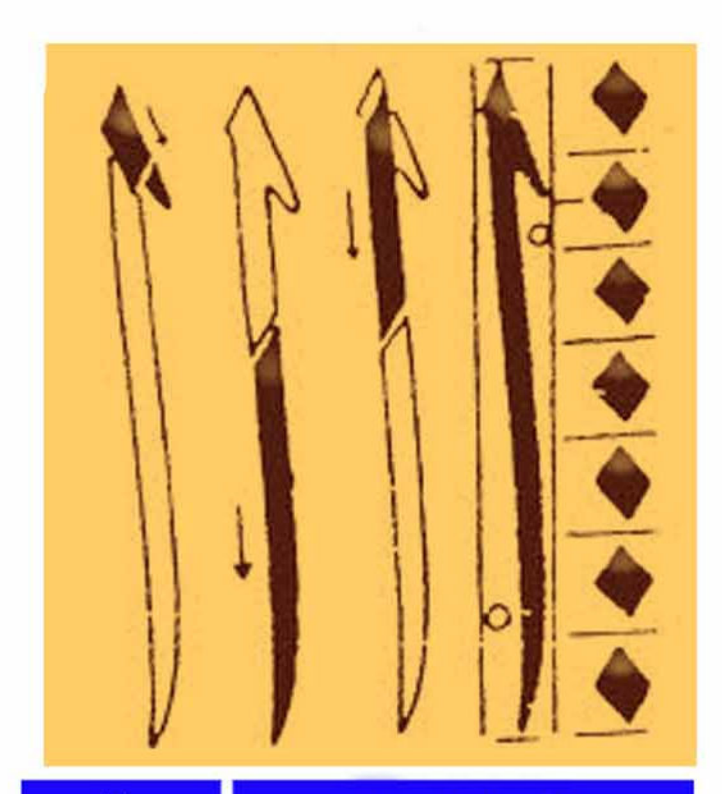




يتجدد لقاءنا معكم اخوتي الاعزاء وناسف لتاخرنا باصدار عدد هذا الشهر ,نتمنى من الاخوة القراء والمتابعين برفدنا بمواضيع ودراسات تتعلق بالخط العربي لنشرها. ستجدون في عددنا هذا مواضيع منوعة اضافة الى ابواب المجلة الثابتة

نتمنى لكم قراءة ممتعة و مفيدة

ثائر شاكر الاطرقجي – رئيس التحرير

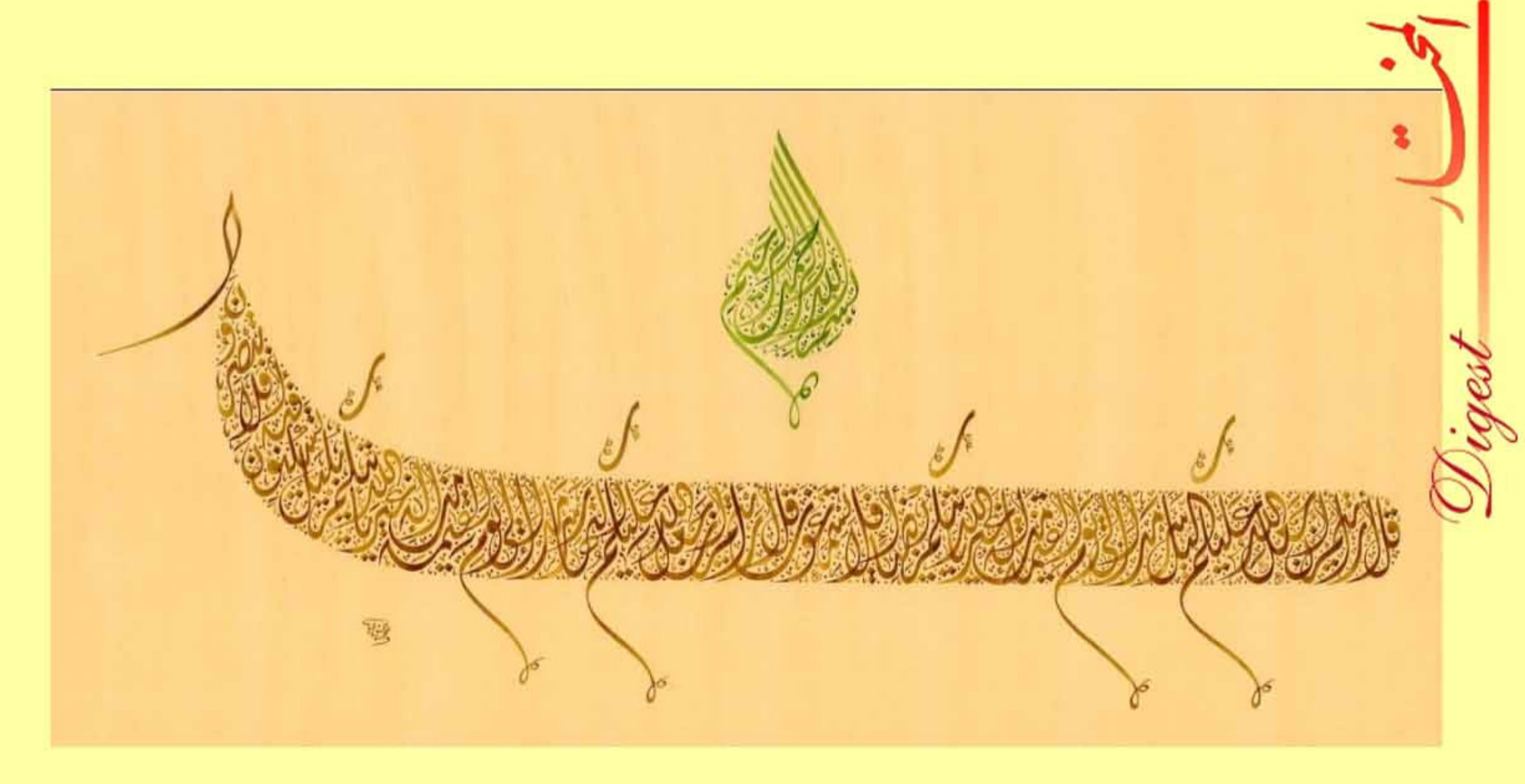


للاتصال بنا

للتعليق على محتوى المقالات و تقديم اقتراحات خاصة بالمجلة في أعدادها القادمة، و للراغبين في الإعلان، يمكنكم مراسلتنا على أحد العناوين التالية:

callibaghdad@gmail
thaershaker@gmail.com

الرجاء كتابة الاسم و الدولة المرسل منها الايميل بوضوح في مراسلاتكم.



لوحة وخطاط / محمد النوري

ثائر شاكر الاطرقجي/ خطاط وباحث

طاوعت الحروف العربية أنامل الخطاطين فاستطاعوا إدخال معالجات فنية وجمالية ملموسة على أنواعه تتعدى الدلالات القرائية إلى مرحلة الإبداع الفني في تجويد الحرف من خلال التكوينات الخطية لكون الخط العربي فناً تشكيلياً ، والذي أكد جانب الأصالة في تشكيل الحرف على انه مفردة تشارك الهدف البنائي والتشكيل الفني .

ومن هنا تجلت قيمة التكوين الخطي بكونها نقلة فنية للخط العربي ، والذي استمد من اللون والخط مصدراً وعنصراً رئيساً في نجاح التكوينات الخطية الهائلة بأنماطها (الهندسية وغير الهندسية) .

وفي الوقت الذي نرى فيه الخطاط متفنناً في الحرف العربي فأنه يتفنن أيضا في تكوينات هذا الحرف عند اجتماعه بحروف أخرى ليعطينا انطباعاً عن قدرته ومهارته في أسلوبه عند اختياره للحرف أساسا للمهارة ليخرج لنا تكويناً هو مزيج من الحروف المتكررة بعد تشكيلها وتلوينها ، وقد واصل الخطاط اهتمامه بمعيارية البنية الخطية الواحدة ، وتراص أعمدتها البنائية المتنوعة وهذا يعود إلى الجهد التاريخي المتواصل في البحث الفني والذي جعل التكوين الخطي يشكل عنصراً أساساً في فن الخط ، والذي يحدد هويته التشكيلية الخاصة والمتميزة بين الفنون الأخرى.

تأسيسا على ذلك نتناول لوحة للخطاط محمد النوري وهو خطاط مجتهد مثابر تولد عام 1966 تخرج في كلية الفنون الجميلة / جامعة بغداد قسم التصميم ويعمل مدرس فن الخط والزخرفة في مركز الشارقة لفن الخط العربي والزخرفة ، شارك في العديد من المعارض المحلية والعربية والعالمية، حصد العديد من الجوائز في مشاركته بالخط العربي .

تتضمن اللوحة نص الاية (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلا تَسْمَعُونَ (72) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ

اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ) . (القصص 71-72) .

تتميز هذه اللوحة بالمرونة والمطاوعة بصورة واضحة في الاحرف والكلمات ولاسيما في حرفي (الميم والنون والكاف) المكررين من بداية اللوحة الى نهايتها بشكل متتابع من خلال المد والانسيابية الواضحة .

والتنوع يتضح في شكل الحرف متمثلا في حرف (النون) وجاء هذا التنوع لأغراض جمالية وتصميمية ، وكذلك التنوع في حرف (العين) الوسطية في كلمة (جَعَلَ) وكلمة (تَسْمَعُونَ).

اما خاصية الشكل والاعجام فقد جاءت مكملة للعمل الرصين والمتداخل لتجعله اكثر حبكة وتراصا ولإظهار المحيط الخارجي للعمل كله اضافة الى ظاهرة التنقيط .

اما جانب التسلسل القرائي فبدأ من اليمين الى اليسار ومن ثم يتصاعد الى الاعلى من بداية كلمة (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ) .

اما من جانب الاسس والعلاقات فقد ظهرت السيادة من خلال الجزء الاخير من التكوين والمتجه الى الاعلى والمتمثل بكلمة (أَفَلا تُبْصِرُونَ) .

ومن جانب النسب والتناسب فقد ظهر العمل متناسبا من خلال التوزيع الجيد والمكافئ للأحرف والكلمات ومن خلال اشغالها بالحركات والتنقيط المتناسب فيما بينها ، ما عدا الجزء الاخير وهو الجزء الصاعد فقد ظهر اقل حجما عن باقي الاجزاء .

كما يظهر التتابع من خلال الحركة الانسيابية لحرف (الميم) المتمثل في اسفل العمل وتاج حرف (الكاف) في اعلى العمل ، وكذلك من خلال التتابع الجيد للكلمات .

اما التكرار والحركة فقد ظهرت في حرفي (الكاف والميم) وكذلك في لفظة الجلالة المتكرر فضلا عن الحركات الاعرابية التي عملت على اشغال الفضاءات .

ويظهر التطابق في رؤوس الحروف (القاف والفاء والواو) وكذلك في الجزء المرسل من الاحرف (الراء والدال والواو) التي ساعدت على اشغال حيز اكبر من التكوين .

اما التشابه فقد ظهر في النهايات المستدقة لحرف (الهاء) من لفظة الجلالة وحروف (الالف والراء والدال والواو) ، وقد عمد الخطاط على خلق وحدة للتكوين خلال توزيع حركة الكاف العليا اي التاج على نحو منتظم ومتوازن في المساحة ، وكذلك حرف (الميم) المتكرر بشكل متناسب في استقرار التكوين على مستوى الشريط الاسفل .

وتظهر الوحدة من خلال التطبيق الجيد والصحيح للأسس والعناصر ومن خلال التصميم الجيد المترابط في اجزاء العمل كما ساعدت الحركات الانسيابية من خلال المد الملحوظ في حرف (الميم) المتمثل اسفل العمل وتاج حرف الكاف المتمثل اعلى العمل على اظهار المحيط الكفافي للتكوين وإظهار الوحدة للعمل كله .







التشكيل الفني في الخط العربي... ابداع الحروفية

وليد صوان

شكل الحرف العربي إلهاماً للعديد من الفنانين التشكيليين ليتحول مع مرور الوقت إلى اتجاه فني، قدم الفنانون من خلاله تجاربهم الغنية والمتنوعة، كتنوع رؤاهم الفنية.

يقول الفنان "محمد غنوم": «إن انتشار الحروفية ليس رداً على الهيمنة والسيطرة الغربية، بقدر ما أن الفنانين وجدوا مفردات سهلة بين أيديهم وجميلة، فعملوا بهذا الاتجاه ووجدوا أنه ابن بيتهم، خاصة أن الغرب احترم هذه المفردة التشكيلية عندما قدمت إليه، لكونها تعبر عن هوية شعوب أخرى، واللوحة الحروفية الأصيلة والعميقة لا تشبه اللوحات الأخرى، إنما تشبه هوية الفنان العربي الذي وجد رواجاً ومؤيدين في العالم، حيث استفادت الحروفية من الفنون والاتجاهات الحديثة بالفن، فالتقنية مستوردة من الغرب، لكن الفكرة غير مستوردة وهذا أمر طبيعي، لأن غاية الحروفية إنشاء فن عربي أصيل يحمل هوية وهموم وقضايا العصر».

وأضاف "غنوم" بالقول: «إن استخدام التجارب الحروفية والعبارات الدينية، يعود إلى أسباب موضوعية، فالخط العربي حرف جميل وله مكانة عالية، لأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، وعندما يرسم الفنان لوحات فيها آيات قرآنية فهذا يضفي نوعاً من القداسة، لكن لا يعني ذلك أن التجارب التي اعتمدت على العبارات الدينية كانت موفقة بجميعها، خاصة أن التركيز على رسم هذا النوع من العبارات ينتشر بمنطقة الخليج لأهداف تجارية بحتة، وبما أن آية كريمة أو عبارة دينية ما موجودة في اللوحة فإنها ستباع بسهولة، وهذا لا ينطبق على الجميع إذ يوجد من عمل بجدية.

الحروفية لم تدخل بعمق العقائد الدينية والإيديولوجيات، ولم تأخذ دورها الحقيقي، فمازالت تطرق الباب باستحياء، خاصة أن هذه الحركة التشكيلية لم تحظ بإقبال جماهيري، نتيجة ظروف ومعطيات معينة».

وتابع: «إن الاهتمام بفن الخط العربي موجود منذ قبل الإسلام، لكن كتابة القرآن الكريم والإسلام أديا لخلق حالة جديدة، حيث أصبح الاهتمام به واضحاً أكثر، وصار يكتب الخط بشكل جميل، ومن هنا فإن الاهتمام بالخط قديم منذ /1400/ سنة إلى يومنا هذا، حيث حظي برعاية كبيرة طبقاً للمرحلة التاريخية، وكلها تصب بمنحى الاهتمام بالخط العربي».

أما حول ظهور اتجاه الاهتمام بالخط في اللوحة التشكيلية فأشار "غنوم" إلى أنه بدأ عقب الحرب العالمية الثانية، منذ حوالي /60/ – /70/ عاماً من قبل بعض الفنانين العرب الموجودين بأوروبا، خاصة من الفنانين العراقيين المقيمين بالغرب مثل "جميل حمودي" و"مديحة عمر"، ودفعهم إلى ذلك حرصهم على ألا تتماهى شخصيتهم بالثقافة الغربية، حيث وجدوا في مفردة الخط العربي نوعاً من رد الفعل لامتلاك خصوصية معينة، وعقب الحرب العالمية الثانية اهتم العراق بهذا النوع من

الفن التشكيلي، والمغرب العربي والسودان إلى جانب سورية ولبنان والأردن، حتى وصل الأمر لعدم خلو أي بلد عربي من الحروفيين.

وعن الفنانين الرواد بهذا الاتجاه الفني في سورية قال: «إن "محمود حماد" و"عبد القادر أرناؤوط" وغيرهما كانوا رواد هذا الاتجاه، حيث عملوا على الحرف مبكراً، والآن هناك من يبني النحت على الحرف كالفنان "سامي برهان"، إذ عمل بعض المنحوتات على البناء المعماري للخط العربي، فالاستخدامات للحرف في الفن التشكيلي ليست قديمة، بل تعود إلى أقل من مئة عام مضت».



بدوره الفنان "جمال بوستان" رأى: «إن تجربة التشكيل في الخط العربي قديمة، حيث مضى عليها ما يزيد على نصف قرن، وقد أغنى هذا التيار الذي أطلق عليه اسم "الحروفية" الحركة التشكيلية العربية، ومنحها طابعاً مميزاً، حيث حاول كثير من الفنانين الاستفادة من إمكانيات الحرف العربي، لما يتمتع به من جماليات وإمكانات تعبيرية، وانطلاقاً من هذه الرؤية الفنية حاولوا تقديم تجربة فنية ذات طابع مميز شكلاً ومضموناً، فهناك أعمال خطية مباشرة تجد أنها أعطت شكلاً متطوراً للحرف العربي، إذ تضمنت نصوصاً متنوعة فمنها العبارة الدينية ومنها أقوال صوفية ومنها الشعر والحكم».

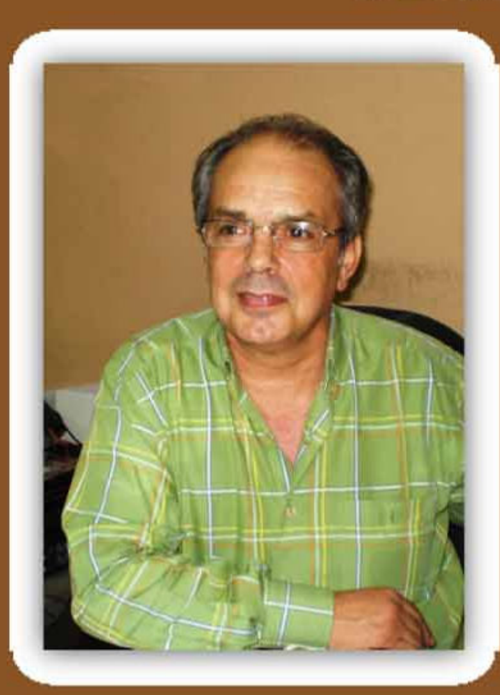
كما لفت "بوستان" إلى التوليفة الموسيقية واللحن البصري الموجودة في الحرف العربي، حيث يجري التركيز في الأعمال الحروفية على استخدام اللون وتدرجاته التي تعبر عن الفرح والحزن، وما يحمله الفنان من مشاعر، خاصة أن الحرف العربي يمثل ثقافتنا وحضارتنا، ويمتاز بقابليته للمد والضغط ولإمكانياته التعبيرية والجمالية ذات الإيقاع الجميل القابل للحياة"».

الفنان "وليد الآغا" أرجع استخدام الحرف إلى: «ذاكرة الفنان ومشاهداته للأعمال التي تلفت نظر الفنان بالبحث عن المجهول في عالم الحرف، ما يدفع الفنان للتعمق فيه ليبني علاقة بينه وبين الحرف، وفي كثير من الأحيان يكون العمل على رسم الحرف دون قصد برسم اللوحة الحروفية أو الحرف فيه، فجاذبية الحرف تشد الفنان كشيء جمالي يضم لغة بصرية مبدعة، بالتالي فإن استخدام الحرف يُمكّن الفنان من التعبير عما يجول بداخله، كما أن استخدام الحرف في التشكيل الفني يعود إلى الثقافة أيضاً التي لا تقدم الحرف ببعد كلاسيكي، بل كلوحة معاصرة مفتوحة على كل الرؤى، ويتعامل معها على كل الموازين».

واعتبر "الآغا" أن إيجابيات استخدام الخط بالتشكيل الفني يكمن في كون الموضوع يواكب التذوق العام العالمي وليس العربي فقط، فاللوحة الحروفية تثير دهشة من هو غير عربي أيضاً، والدليل أن الفنانين الأوروبيين تحدثوا عن الحرف العربي وعملوا عليه، فتجد "بيكاسو" مثلاً يؤكد أنه كلما بحث عن التجريد يجد أن الحرف العربي يسبقه إلى ذلك، فتقديم الحرف بجماليته وضمن لوحة لها معطياتها وضمن بحثها التقني الجمالي والموضوعي كبحث بماهيته وشيء له علاقة بالفكرة.

وأضاف: «البعض ممن ينتقدون استخدام الحرف يقولون إنهم "تقولبوا" في هذا الموضوع وهذا غير صحيح، فهناك الكثير من الفنانين اشتغلوا على موضوع واحد، لكنهم قدموه برؤى مختلفة ولغة بصرية جديدة لها بحثها التقني الخاص بها وهذا ليس سلبياً».

وتابع: «لا توجد سلبيات باستخدام الحرف في التشكيل الفني، فهذا ظلم وتجنٍ على هذه التجربة، وتقزم وتحجم الحرف، ومن يدعي أن استخدام الحرف سلبي، يهدف إلى طمس الحرف العربي والثقافة العربية بكل أبعادها وتجاربها الفنية، فهناك مؤسسات وجهات تلعب على طمس الثقافة والفن العربيين، وبينها الحرف العربي فلا يريدون لشيء أن يعبر عن لسان الأمة، وهذا له بعده السياسي لتغيير بنية المنطقة».







فنانون في ندوة عالمية الخط العربي

دبي - محمد ولد محمد سالم

بحضور محمد المر، رئيس المجلس الوطني الاتحادي، وبلال البدور المدير المساعد للشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، وسلطان بن صقر السويدي، رئيس مجلس إدارة ندوة الثقافة والعلوم، احتضنت الندوة مساء١٢/١٠/٢٠١٢»ندوة حروف عربية« التي تنظمها مجلة حروف عربية بالتعاون مع مركز دبي للخط العربي تحت شعار »عالمية الخط العربي« .

أدار الندوة الخطاط خالد الجلاّف، وتحدث فيها كل من الخطاط حسن المسعود (فرنسا)، والدكتور خوسيه ميغل (إسبانيا)، والخطاط تاج السر حسن (السودان)، وتضم ندوة حروف عربية إلى جانب هذه الجلسة الأساسية أنشطة أخرى بدأت بمعرض الخطاط إسرافيل شيرجي، ثم معرض المعاصرة لمجموعة خطاطين من جنسيات مختلفة، وشهدت أيضاً ورشات فنية متعددة، وستختتم اليوم بورشة فنية للخطاط حسن المسعود .وفي تقديمه لموضوع الندوة استعرض خالد الجلاّف تاريخ فن الخط العربي منذ نشأته إلى اليوم، مؤكداً أنه ظل دائماً فناً منفتحاً على الجديد متفاعلاً مع تطورات الحياة مستفيداً من فنون البلدان التي دخلها الإسلام، وقال: »إن مرونة هذا الخط وقدرته على الاستجابة لكل أشكال التكوينات جعلته قابلاً للتطور، ما شجع الكثير من الخطاطين في العصر الحديث على الاندفاع في مغامرة التطوير، مستفيدين من فنون التشكيل الغربية في محاولة لإضافة رؤى فنية جديدة على الخط العربي«، وتساءل الجلاف عن مدى مشروعية تلك التطورات، وأثرها في وضع الخط العربي .الدكتور خوسيه ميغل استعرض تاريخ الخط العربي في الأندلس، وأكد أن آثاره قد عمت شبه الجزيرة الإيبيرية من سرقسطة شمالاً إلى غرناطة جنوباً، وأن آثاره ما تزال إلى اليوم ماثلة في العمارة الموروثة عن العصر الإسلامي في إسبانيا، واستعرض ميغل نماذج من تلك الخطوط المعمارية في القصور والمساجد الأندلسية، وتوقف عند جامع قرطبة الذي اعتبره »متحفاً قائماً للخط الكوفي«، بما حوى من تصميمات خطية شكلت إضافات وتطويرات كثيرة في هذا الخط، كما اعتبر »قبة الجامع إبداعاً إنسانياً فريداً« . وتأسف خوسيه على كون ذلك التراث قد أتلف منه الكثير على مر العصور الماضية، وكون الإسبانيين لم يهتموا به، ولكنّه تفاءل بما حدث في السنوات الأخيرة من اهتمام بهذا الموروث، »حيث بدأ البحث فيه وهناك حركة نشطة تسعى للاستفادة منه وتعريف الإسبانيين والأوروبيين على إبداعات الحضارة الإسلامية، وهو ما سيعزز حضوره في الغرب كفن عالمي« . الخطاط حسن المسعود وهو فنان فرنسي من أصل عراقي، تحدث عن تجربته في مجال تطوير الخط العربي، وقال: إنها تمتد على مدى خمسين عاماً، بدأها خطاطًا كلاسيكياً ومدرسًا للخط، وقال: إنه بعد سنوات بدأ يبحث عن صيغ جديدة وأشكال لتطوير الخط العربي وكيفية الاستفادة مما يتيحه الفن الحديث من إمكانات اللون والتشكيل، ودفعه ذلك إلى دراسة متأنية لإبداعات الخط العربي القديمة الماثلة في العمارة والتحف والمخطوطات، وأوضح أن الخطاطين القدماء قد تصرفوا في الكلمات بالهدم وإعادة البناء حسب رؤية كل واحد منهم، وحسب مقتضيات السطح الذي يكتب عليه، كما أعطى بعض منهم الأولوية للفراغ المحيط بالحرف فصنعوا تكوينات جمالية . وأضاف المسعود أنه بناء على تلك الإبداعات الفنية الأصيلة بدأ هو تجربته الجديدة، فصار يفكك الكلمة ثم يعيد بناءها حسب الشكل الفني الذي يوحي به مدلول النص الذي يخطه، وأدخل الألوان إلى تلك الأشكال ليضفي عليها طاقات تعبيرية وتأويلية أكثر . الخطاط تاج السر حسن استعرض تجربته الفنية في مجال البحث عن أشكال متطورة لفن الخط العربي، وقال: إن تجربته تأسست على عاملين أساسيين، كونه درس أصول الخط العربي في كلية الفنون في السودان، وكونه تخصص في فن التصميم في بريطانيا، ما جعله مسكونا بالبحث عن الأسس العلمية لتصميم الخط العربي، وهداه بحثه إلى أن نظام الكتابة العربية هو من أرقى الأنظمة الكتابية في العالم، فهو يجمع بين الرسم والخط، ويتميز بالبساطة والمرونة وإمكانات الفصل والوصل (الأفقي والرأسي)، و»كلها خواص تعطي للخطاط وفنان التشكيل إمكانات هائلة للإبداع« .



مهما اختلفت الحضارات وتنوعت أساليب الكتابة لدى الجنس البشري، تبقى الكتابة العربية وفنون الخط العربي محط أنظار الباحثين والمفكرين بشكل عام، ومتذوقي الفن الجميل بشكل خاص. فنحن جميعاً نقف مكتوفي الأيدي وقصيري البعد النظري مقارنة بالمدة الزمنية القصيرة التي نعيشها على هذا الكوكب، أمام عمر من التاريخ تعاقبت عليه الأجيال فشيدت الحضارات وبنت معالم خالدة طوتها السنون ولفتها دقات الساعة العصرية الصامتة، فلم يبق لها إلا الاسم تاركاً خلفها جميع جوانب الحياة في أدغال الزمن الغابر.

إلا الكتابة العربية بقيت كماء الياقوت تسبق الزمن وتتكئ على أكتاف بناة الحضارات ليستعينوا بها في كتابة تاريخهم على جبهة الريح وبين أحضان التراث.

وعلى الرغم من التطور الكبير الذي حصل للحرف العربي في الفن التشكيلي سواء باستخدامه الرمزي أو التعبيري فإنه لم يزل يملك سحره داخل الكلمة والجملة ولم يزل يغري الكثير من الفنانين والخطاطين بالعمل من داخله للوصول إلى لمحات فنية تمتع المشاهد وتغني رؤيته البصرية. وإذا كان الخطاطون منذ أيام القلم المسند وقلم حران وحتى اليوم أبدعوا الشيء الجميل إلا أن الخطاطين المعاصرين استطاعوا أن يقدموا ما هو أكثر اتقاناً وأعمق حضوراً وذلك بفضل التطويرات الكثيرة التي أدخلوها عليه.

والكتابة هي تعبير، ليس عن طريق اللسان، وإنما عن طريق اليد، واليد أحياناً تعبر من خلال الإشارة أو من خلال الرسم، ورسم الإشارة هو جهد خاص له قواعده بحيث تكون الرسوم المكتوبة دالة من خلال تركيبها على بعض المعاني.

وكلما ارتقت صناعة الكتابة كانت أكثر دقة في التعبير، عما يجيش في النفس من أفكار وعواطف وانفعالات.

واختراع الإنسان لصناعة الكتابة هو تقدم فكري وتفوق عقلي.

فالإنسان استطاع أن يخترع أسلوباً للتعبير، والكتابة هي رسوم وأشكال اخترعها الإنسان، وجعل لكل رسم منها دلالة خاصة، وتؤدي تلك الرسوم في حالة تركيبها معاني دقيقة، قد تتجاوز حدود الكلمات الدالة على معاني حركية، وقد تفيد أحياناً أفكاراً دقيقة هي وسيلة الإنسان إلى المعرفة، والكتابة في جميع أحوالها هي مظهر من مظاهر الحضارة، ولا يمكن تصور نشأتها إلا في ظل حضارة الإنسان وتطوره، ولو أننا تتبعنا تاريخ الكتابة لوجدنا أن ذلك التاريخ ليس هو تاريخ الإنسان وإنما هو تاريخ حضارة الإنسان.

وليست الكتابة مجرد رسم لشكل من أشكال الحروف، إذ إن ذلك قد يتم التدريب عليه لبعض الحيوانات، وإنما هي أكثر تعقيداً من مجرد الرسم المادي لشكل الحرف، فهي في الدرجة الأولى رسم للشكل يعتمد على الترابط العاقل أو المنظم بين تلك الأشكال، ولو اكتفينا بمجرد الرسم لكانت الكتابة فاقدة معناها، غير مؤدية الغرض منها.

وأهم أغراض الكتابة تأدية الأغراض المطلوبة منها، عن طريق ربط الرسوم والأشكال بالمعاني الدالة عليها، فالمعنى في حدّ ذاته فكرة ضمنية تراود الإنسان وتتردد في صدره ولا يجد وسيلة لإبراز تلك الفكرة إلا عن طريق اللسان أو عن طريق الكتابة أو عن طريق الإشارة، والإشارة وسيلة قاصرة لأنها لا تعبر عن طريق المعاني البسيطة، في حالات القبول أو الرفض أو فيما هو في مستوى ذلك من الأفكار المبسطة، واللسان هو الوسيلة الأوضح والأقوى للتعبير، ومن هنا كانت الحاجة إلى اللغة كوسيلة للتعبير عن الأفكار، غير أن اللسان قد يكون قاصراً في بعض المواطن ليس عن أداء المعنى، وإنما عن استمرارية المعنى المطلوب، ولهذا فإن الكتابة تأخذ موقعها كوسيلة لنقل الأفكار وحمايتها واستمرارية عطائها.

والكتابة أكثر صعوبة من الكلام، لأن الكلام أقل جهداً من الكتابة ويتعلمه الإنسان عن طريق التلقين التلقائي في الطفولة، أما الكتابة فتحتاج إلى جهد مضاعف، لأنها عملية معقدة ودقيقة، تحتاج إلى تعليم رسوم وأشكال الحروف والأرقام أولاً، ثم إلى تعليم دلالات تلك الرسوم والأشكال على المعاني ثانياً، ثم إلى ربط المفردات اللغوية لتكوين معان معقدة ثالثاً، وهذه المراحل شاقة وتحتاج إلى مران وتعليم وتكرار إلى أن يتمكن الإنسان من امتلاك ناصية الكتابة وتكوين ملكتها.

ولا شك في أن اختراع الكتابة كان من أهم منجزات الإنسان، ولعل ذلك هو البداية الحقيقية لحضارة الإنسان ومسيرة الفكر الإنساني، ذلك أن الإنسان البدائي كان يعتمد على تجربته الذاتية في استكشاف معالم الطبيعة التي تحيط به.

ويعد الخط العربي منذ بداياته الأولى إلى يومنا هذا رمزاً من الرموز المهمة في بناء الحضارة العربية الإسلامية، بل والإسهام في الحضارة الإنسانية، كما يؤكد الخطاط العربي

المسلم تفوقه في هذا المجال، لدرجة جعلت كل دراسي الخط العربي يجمعون على أن الفنان المسلم جعل للكلمة وظيفة جمالية مرئية إلى جانب وظيفتها السمعية.

وقد حظي الخط العربي في الإسلام بعناية خاصة، ولا غرو في ذلك، فهو ترجمان القرآن الكريم ووسيلته التي حفظه بها على مر العصور، حيث حرص الفنان المسلم عل مدى أربعة عشر قرناً على تجويد الخط العربي وتحسينه، ووضع أقصى ما يمكن أن يضعه العقل البشري من القواعد والمعايير في سبيل تجويد هذا الفن وأحكامه لتكون بمنزلة قوانين ونظريات هندسية غاية في الدقة، لا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها، يرجع إليها كل من أراد حذق الكتابة.

فالخط العربي يتمتع بإمكانات تشكيلية لا نهائية فحروفه مطاوعة للعقل وليد الخطاط الحاذق إلى أبعد الحدود، لما يتميز به من المدّ والقصر والاتكاء والإرداف والإرسال والقطع والرجوع والجمع مما لا يتوفر في أي من الخطوط في اللغات الأخرى، ولذلك فهو ينتمي إلى العالمية بكل قوة ودراية وشمولية.

وهو فن يجمع الليونة والصلابة في تناغم مذهل وتتجلى فيه قوة القلم وجودة المداد المستمدة من النفحات الروحانية التي تهيمن على الخطاط المبدع في لحظة إبداع فلسفي لا تكرر نفسها.

فمن ساحة الفكر المخزون يقفز نص جذاب أو حكمة مأثورة أو آية كريمة يرافقه تخيل مبدئي لنوع الخط الذي ينبغي أن يكتب به، ومع إعمال الفكر وإجهاد القريحة تبدأ ملامح التكوين الخطي تظهر رويداً للروح ثم للعين ثم تنفذ اليد للإبداع الحقيقي.

كما أن الرابطة الحميمية التي تجمع مثلث العقل والروح والعين بدءاً بالتوافق المنضبط في النسب المطلوبة بين الحروف والتناغم المألوف بين الحركات، والانطلاقة الوثابة لبعض الكلمات لتنصهر في علاقة واضحة بين نوع الخط ومعنى الكلام المخطوط في بناء لوحة قادرة على التعايش مع الوسط الفني زمناً طويلاً.

والخط في اللغة يعني الكثير، منه ما يبتعد عما نعنيه بمعنى الكتابة، من ذلك مثلاً رسم مستقيم له طول وليس له عرض ولا سمك، أو رسم علامة أو حفر القبر أو غزو الشيب للرأس... الخ. وقد ابتدأ الخط العربي من خلال علاقة «سيمولوجية» دلائلية أو رمزية متمثلة بالبيان الإلهي في القرآن الكريم عند توضيحه بالكتابة، ومن هنا تطلب كتابة فاضلة بالخط المنسوب، أي الخاضع لقواعد الخط الجميل.

والخط العربي مَلَكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة، وهذه الملكة تتربى بالتعليم وتقوى بالتمرين والاجتهاد، ولس كل إنسان قابلاً لأن يكون خطاطاً، وإنما البعض دون البعض، حيث إنه من أدق الأشكال الهندسية، وحسن الخط كامن في بعض الأفراد كمون النار في الحجر، لما وهبه الله تعالى من الاستعداد الفطري، فإذا ما اشتغل به نبغ نبوغاً عظيماً من غير عناء كبير، أما من لم يكن فيه هذا الاستعداد الفطري لتحسينه، فلا يرجى له النبوغ والوصول إلى غايته، مهما بذل من الجهد، وصرف فيه من الوقت، وقد ينال فيه قسطاً لا بأس به، إذ لكل مجتهد نصيب. ولكن نصيب هذا لا يرفعه إلى الدرجة التي يصح أن يطلق عليه لفظ /**خطاط**/.

وهو نص في مرآة يعكس الحلم الخالص بانتزاع اللغة من حقيقتها البشرية، وتقديمها في شكل فني وبشكل أكثر تحدياً، فإن فن الخط هو الفن الذي يعتبر نفسه متوفراً على هذه الصفة، وقائماً على بنية متميزة، وقواعد هندسية وزخرفية، وعندما نقول فن قائم الذات، فإننا نعني أنه يستتبع في تخطيطه نظرية في اللغة وفي الكتابة، وقبل كل شيء، فإن هذا الفن يدخل في نطاق البنية اللسانية ويشكل معجماً ثانياً للرموز، منحدراً من اللغة، إلا أنه يلعب بها ويضاعفها عن طريق حركة مرئية، ومن ثم فنحن نستبعد جميع التعريفات العائمة التي تطلق فن الرسم حتى يلتقي أحياناً بمنطلقات فن الخط، فإن هذين الفنيين يختلفان في طريقة إبراز الإشارة المستمدة من الحروف، وكذلك في طريقة إضفاء الحياة عليها.

كما أن الخط فن رائع ملتصق باللغة العربية، غني بالبهاء والرواء، وقد يراه بعضهم أنه باب من أبواب الرسم ولا شك في أن له صلة بالرسم ولكنه باب تميز عن أي باب من أبواب الرسم الأخرى، متميز بوظيفته وطبيعته وارتباطه بأشرف لغة وأكرم أدب، وكأنه أصبح بهذا الارتباط جزءاً من الأدب، وإذا لم ير بعضهم أنه شكل من أشكال الأدب فهو باب من أبواب اللغة العربية خاص باللغة ذاتها وقد قالوا إن الخط توقيف من عند الله جل وعلا، واستفاد البشر لتركيب حروفه عن طريق العقل البشري، وقد فسر هذه النظرية عمر بن عتبة، بقوله: العقل عقلان، عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل، وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فإذا اجتمعا قوّى كل منهما صاحبه، تقوية النار في الظلمة للبصر، واجتماع العقلين آلف عند الناس وأقرب للواقع، فإنهم يتبنون دائماً تقوية العقل الموهوب، بما يكتسب من ممارسة واستفادة من تجربة وتكرار حصل علم الكتابة الذي نسميه الخط.

كما ويعدّ الخط الجانب الذي يعبر عن الترابط القوي في مختلف الأقطار الإسلامية وبين المهتمين بالخط العربي لا باعتباره وسيلة تواصل وتفاهم فحسب، بل لكونه فناً برزت

فيه نخبة من الخطاطين المسلمين على غيرها بما لا تزال بعض خزائن الكتب تزدان به من روائع آثارهم بما أضفوه عليه من سمات الإبداع والجمال، وما رسموه له من قواعد ثابتة، حتى اصبح علماً راسخ الأصول مع اعتباره بما تتصف به من صور حروفه وهندسة تراكيبها من مرونة وتناسب- من الفنون التي تفسح للأخيلة المبدعة، وللأذواق السليمة أرحب المجالات للإبداع والإمتاع.

وكان على الخط أن يبالغ في تجويد كتابة القرآن الكريم كي يرقى إلى مستوى بلاغته، وكان أول المعتنين بذلك الخليفة الراشد الإمام علي بن أبي طالب/ كرم الله وجهه ورضي الله عنه/ الذي قال: «جوّدوا كتابتكم، فإنها تزيد الحق سطوع البرهان» (ابن أبي الحديد-نهج البلاغة) والصلة الروحانية في التفريغ الفني، ورد عن الفارابي قوله: «إن الخط أصيل في الروح وإن ظهر بحواس الجسد». وقد ورد في جواب بعض الخطاطين، عن متى يستحق أن يوصف الخط العربي بالجودة قائلين: (إذا اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنفاسه، ولم تختلف أجناسه وأسرع إلى العيون تصوره، وإلى القلوب ثمره، وقدرت فصوله، واندمجت أصوله، وتناسب دقيقه وجليله، وتساوت أطنابه، واستدارت أهدابه، وخرج عن نمط الورّاقين، وبعد عن تصنيع المحررين، وقام لكاتبه النسبة والحلية).

حيث تمتاز الحروف العربية أنها تكتب متصلة أكثر الأحيان، وهذا يعطي للحروف إمكانيات تشكيلية كبيرة، دون أن يخرج عن الهيكل الأساسي لها.

ولذلك كانت عملية الوصل بين الحروف المتجاورة ذات قيمة هامة في إعطاء الكتابة العربية جمالية من نوع خاص، من حيث تراصف الحروف مثل/ ب،ن،ق،ف،س،ش/ وغيرها، تأخذ دوراً في إعطاء الكتابة العربية تناسقاً ورشاقة عندما تكون هذه المدّات متقنة وفي مواضعها الصحيحة، ويمكن أن نلاحظ أن طريقة الوصل بين الحروف تختلف من نوع إلى آخر من أنواع الخط العربي، كما في الديواني والنسخي والكوفي والثلث والفارسي/ التعليق/ وهذا الاختلاف ناتج عن الأسس في كتابة كل خط من هذه الخطوط، حيث نجد الزوايا والخطوط المستقيمة سائدة في أنواع الكوفي ونجد الأقواس والزوايا في كل من النسخي والثلث بينما تكون الأقواس الرشيقة والمدّات الانسيابية سائدة في الخط الديواني.

وتتخذ الوصلات سماكات مختلفة في الخط الفارسي، لتعطي للحروف المتباينة في عرضها تناغماً موسيقياً رائعاً. (وإن مجموع حركة الخط وما يتولد عنه من إشعاع موسيقي مطابق لشاعرية مرئية ساعية نحو اللامرئي، كل ذلك يحدده النص بالنسبة ليد الخطاط الراقصة).

يضاف إلى ذلك الغنى الفني الذي يمكن أن يضيفه التشكيل والزخرفة الملحقة بالحروف، فعلامات الفتح والكسر والضم والسكون والتنوين والمد والإدغام (الشدة) كلها عناصر تزيينية زخرفية لا غنى عنها لإتمام التناسق وملء الفراغات، إضافة إلى ضبط الكلمات وصحة قراءتها، وذلك في خطوط النسخي والثلث والديواني الجلي، وللزخرفة أيضاً دور كبير في جماليات الخط الكوفي حيث تضيف إليه وإلى الخطوط السابقة نوعاً من الأبهة والفخامة.

كل ذلك يعطي للكتابة العربية تفرّداً في جمالها بين الكتابات العالمية وهذا ما جعلها تدخل في صميم الفنون التشكيلية قديماً وحديثاً.

ويروي المستشرق/ريتر/ أستاذ اللغات الشرقية في جامعة استنبول وهو من الأساتذة المخضرمين الذين حضروا وحاضروا في العهدين العثماني والكمالي قال: «إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أتلو عليهم من محاضرات بسرعة فائقة لأن الحرف العربي اختزالي بطبيعته، أما اليوم فإن الطلاب يكتبون بالحرف اللاتيني ولذلك فهم لا يفتأون يطلبون إلي أن أعيد عليهم العبارات مراراً، إنهم معذورون ولا شك في ذلك فيما يطلبون لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها فلا بدّ من كتابة الحروف بتمامها، ثم أضاف قوله: «إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح». هذا من الناحية الاختزالية، أما من الناحية الجمالية فهناك إجماع على تفوق الخط العربي واحتلاله مركز الصدارة بين خطوط العالم، ويروي لنا التاريخ أن الخليفة العباسي/ الواثق بالله، أنفذ ابن الترجمان بهدايا إلى ملك الروم فرآهم قد علقوا على باب كنيستهم كتباً بالعربية فسأل عنها، فقيل له: هذه كتب المأمون بخط أحمد بن أبي خالد استحسنوا صورتها فعلّقوها، هذا ما حكاه الصولي.

وقد أورد أيضاً أن سليمان بن وهب كتب كتاباً إلى ملك الروم في أيام الخليفة المعتمد فقال ملك الروم: ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل، وما أحسدهم على شيء حسدي على جمال حروفهم، وملك الروم لا يقرأ الخط العربي وإنما راقه باعتداله وهندسته.

ويقول الخليفة المأمون «لو فاخرنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط، يقرأ في كل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد في كل زمان».

وما أحسن وأدق قول الكندي وهو من أهل القرن الثالث عشر للهجرة: «لا أعلم كتابة تحتمل من تجليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات.

ويقول الشيخ محمد عبده في المقارنة ما بين الخط والشعر فيقول: إذا كان الرسم ضرباً من الشعر الذي يرى ولا يسمع، والشعر ضرباً من الرسم الذي يسمع ولا يرى، فالخط هو اليد الشاعرة التي تسمع وترى.

ويقول الأمير والفنان خالد الفيصل: بأن للخط العربي رحلة وجدانية يستشعر المتتبع لها دفء الإيمان وتوهج الرسالة وصدق الإنتماء فالحروف ليست قطعاً جامدة ولكنها كائنات حية تنبض بمشاعر الفنان المسلم وتعكس إصراره وتفانيه لتحقيق أعلى درجات الإتقان والإحسان، فالحروف لا بدّ أن ترتقي إلى مستوى التعبير عن الرسالة، رسالة الخلاق البديع إلى الناس أجمعين.

بل إن عقلاء الإفرنج والمتنورين من المستشرقين، يقرّون ما للعرب ولغتهم من شرف المكانة وما لحروفهم من الجمال والحسن، حتى إن منهم من انبرى يدافع عن الكتابة العربية وأخذ يسفه رأي من استبدلها بالحروف اللاتينية، فالخط العربي يمتاز عن غيره من الخطوط الأجنبية بموازين عديدة أهمها:

- إنه يقبل أن يتشكل بأي شكل هندسي، ›يتمشي على أي صورة بحيث لا تختلف ماهيته ولا يطرأ على جوهره تغيير أو تبديل، ولذا تجده قد مر عليه منذ صدر الإسلام إلي الآن، وما يزال يقبل ما يدخله عليه أهل هذه الصناعة /الخطاط/ والذين ينتمون إلى أصحاب الذوق السليم، من خلال التدقيقات والتحسينات والزخارف، لأنه في الحقيقة عبارة عن نقوش منظمة، وأشكال هندسية ورسوم فنية، ودائرة هذه الأشياء واسعة لا حدّ لها ولا تدخل تحت أي حصر.

- إن من يمعن النظر في الخط العربي يجد بينه وبين سائر الأشياء تشابهاً وتقارباً نسبياً، يميز ذلك من نبغ في فن الخط وصار خبيراً بأسراره وخفاياه.

ومن ألطف الأدلة وأظرف البراهين على منزلة الخط العربي الرفيعة أن الشعراء كثيراً ما كانوا يشبهون محاسن المحبوب بأنواع الحروف العربية، فقد شبهوا الحاجب بالنون، والعين بالعين، والصدغ بالواو، والفم بالميم والصاد، والثنايا بالسين، والطرة المضفورة بالشين، وبعضهم عكس المعنى فشبه الأحرف العربية بأعضاء المحبوب، ولنذكر هنا شيئاً مما قيل في ذلك وهو قول أبو المطاع ذو القرنين بن حمدان المتوفى سنة 428هـ:

إني لأحسد لا في أسطر الصحف

إذا رأيت اعتناق اللام للألف

وما أظنهما طال اعتناقهما

إلا لما لقيا من شدة الشغف

وقال أحمد بن الخيمي:

إن صدغ الحبيب والفم والعا

رض منه: واو وصاد ولام

هي وصل بين المحاسن لما

تم حسناً وبالعذار التمام

غير أني أراه وصل وداع

فيه تقضى افتراقنا والسلام

وبعض الناس يأخذ من هيئة الحروف العربية معاني غريبة وإشارات لطيفة كقول أبي طالب يحيى بن أبي الفرج زيادة، المتوفى سنة 594هـ في الحث على الاستقامة.

إذا كنت تسعى للسعادة فاستقم

تنل المراد ولو سموت إلى السما

ألف الكتابة وهو بعض حروفها

لما استقام على الجميع تقدما

ويقول الخطاط محمد طاهر المكي الكردي/ صاحب كتاب تاريخ الخط العربي وآدابه:

كل الحروف إذا نظرت فإنها

من نقطة أجزاؤها تتركب

صور الحروف جميعها مأخوذة

من صورة الألف التي تتقلب

فترى لصورته رموزاً جمّة

فانظر بعين حقيقة تتهذّب

- إن الحروف العربية، قد خدمها علماء المسلمين خدمة جليلة بحيث لا يتطرق إليها خلل ولا يطرأ عليها تغيير، فعلماء القراءات الأجلاء لم يكتفوا بقراءة القرآن الذي هو بلسان

عربي بمجرد النظر إلى صور الحروف التي هي عربية أيضاً.

بل وضعوا لقراءتها قواعد تحفظ اللسان من الخطأ في نطق الحروف وألقابها وصفاتها، وما يفخم منها، وما يرافق وما يدغم منها.

- إن الله سبحانه وتعالى أودع في الحروف الهجائية العربية أسراراً عجيبة وتصرفات غريبة سواء كانت أفراداً أو تركيباً، فعلى هذه الحروف يتوقف نجاح الطلاسم وعمل السحر والسيمياء وهذه الخصوصية غير موجودة في الحروف الأجنبية مطلقاً (بقطع النظر عن الحكم الشرعي في ذلك كله).

- إن الحروف العربية صالحة لأن تدل على الأرقام الحسابية وتقوم مكانها على الوجه الأتم لأن فيها تسعة أحرف للآحاد وتسعة أحرف للعشرات وتسعة أحرف للمئات، وحرف واحد للألف، وهذا ما يطلقون عليه حساب/ أبجد/ وترتيبه: أبجد، هوّز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ

- إن اللغة العربية التي تكتب بحروفها واسعة جداً، لذلك نجد أن بعض الحروف تنوب عن بعض، وتجد كثيراً من الكلمات مترادفة المعنى، كما نجد لبعض المسميات كثيراً من الأسماء وفي هذا ما يسهل للإنسان طريقة الشعر واتّساق النثر ويجعل للكلام وقعاً حسناً وتأثيراً بليغاً، وذلك فالفنون الجميلة عند المسلمين بكافة فروعها المعماري والزخرفة وفن الخط، تلك الصناعة التي أدهشت العالم ووضعتها أمام الجوهر المبدع المنطلق من الجمال الإلهي والممتزج بالقدرة البشرية. وفي ذلك قول الشاعر:

ربع الكتابة في سواد مدادها

والربع حسن صناعة الكتاب

والربع من قلم تسوى بريه

وعلى الكواغد رابع الأسباب

وقالوا عن الخط العربي...

بنيّت الكتابة على خمس: قوة الأخماس، وحدة الألماس، وجودة القرطاس، ولمعان الأنقاس، وحبس الأنفاس.

ولما كانت الحكمة تقول: (المعرفة تتبع الاهتمام) فإن الخطاطين اليوم دخلوا في قافلة الفنانين الذين لم يوجه إليهم أي اهتمام أو ترغيب وذلك بعد ظهور أجهزة الكمبيوتر والتي جعلت معظم الناس خطاطين، علماً بأن الكثيرين منهم لا يتصلون من قريب أو بعيد بشيء اسمه فن الخط أو علم الخط.

غير أنه لم تنطفئ تماماً التأثير الكبير والمكانة العظيمة للخط في الفن الإسلامي، حيث كان الوازع الداخلي في الحث على ممارسته وابتكار أساليب جديدة وأنواع مترادفة تدخل جميعها في الإطار المخصص لها بقواعد الخط، حيث الجمال الأخّاذ والروحانية السمحة التي تعطي للعين الملهمة حنين الكتابة ولليد المبدعة ظمأ المداد وللقصبة العذبة مشارف من روائع الحرف والكلمة والتشكيل.

مراجع البحث:

تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر الكردي المكي الخطاط، هدية من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

الخط العربي، حسن المسعود، دار فلاماريون، باريس، فرنسا.

الخط العربي، أصوله، نهضته، انتشاره، الدكتور عفيف البهنسي، دار الفكر، دمشق، الجمهورية العربية السورية.

موسوعة الخطوط العربية وزخارفها، معروف زريق، دار المعرفة، دمشق.

أطلس الخط والخطوط، حبيب الله فضائلي، ترجمة: محمد التونجي، دار طلاس، دمشق.

الخط العربي، تاريخه، حاضره، بلال عبد الوهاب الرفاعي، دار ابن كثير، دمشق.

مجلة الوحدة، العدد المزدوج/ 70-71/ سنة 1990م موريس سنكري، الرباط، المغرب.

ديوان الخط العربي، عبد الكبير الخطيبي، الرباط، المغرب.

الأدب الإسلامي، إنسانيته وعالميته، د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، الرياض.

الخط العربي من خلال المخطوطات، هدية من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، المجلد الثالث، دار الفكر، دمشق.

الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، د. محمد فاروق النبهان، مؤسسة الرسالة، دمشق-بيروت.





الخطاط والباحث العراقي الكبير (يوسف ذنون)
مسيرة حافلة بالإبداع والعطاء

ترددت كثيرا وأنا أحاول الكتابة عن مبدع عراقي موصلي كبير ذاع صيته في البلاد العربية والإسلامية، بل والعالم، كعلم من أعلام الفن الإسلامي والبحث التاريخي، ولكن سبق السيف العذل، فلقد ألزمت نفسي بالكتابة عن المبدعين حال حياتهم، فمن غير الإنصاف تكريم المبدع وإلقاء الخطب الرنانة عن شخصه وإبداعه بعد أن يكون فارقنا إلى عالم البرزخ.

إذن فلا حل سوى الكتابة، ولكن ما أفعل للقلم الذي يرتجف وهو يخط على الورق كلمات في سيرة الباحث الكبير والخطاط الرائد والأستاذ المربي يوسف ذنون عبد الله الموصلي.

كيف لي ولقلمي السيطرة على الموقف حال جلوسي إليه، وأنا ما فتحت أمامه باباً للحوار إلا وتنقل بي بين دهاليز ودهاليز من الذاكرة إلى التاريخ والتأصيل التاريخي لمدينة الموصل؛ حتى التعديل لبعض الآراء في تراث وتاريخ المدينة، إلى

العلم والفن الإسلامي الذي عشقه وأفنى في سبيله الوقت والجهد على مر عشرات السنين. كيف لا والموصل بكل ما فيها ومَن فيها يشهدان بفضله؛ فالجوامع التي زينها بخطه العالي الدقة والرفيع المستوى، والطلبة الذين تتلمذوا على يديه ليكونوا قادة لحركة الفن الإسلامي في العراق بعد اندثار هذا الفن أو كاد يندثر.

الأستاذ يوسف ذنون : التقيته في داره بالموصل منتصف رمضان الماضي، حيث كان في زيارة لمدينته الحبيبة إليه والتي أعطاها من وقته وجهده كل ما استطاع إليه سبيلاً.

فكان لي معه هذا الحوار؛ في السيرة الذاتية، والذاكرة، والفن.

من هو يوسف ذنون؟.

-أنا من مواليد مدينة الموصل سنة 1931 ولدت في منطقة باب الجديد، درست القرآن الكريم في(الملا) أي الكُتاب، ومن بعد ذلك دخلت المدرسة الابتدائية في مدرسة ابن الأثير للأحداث واستمر ذلك لغاية الصف الثالث الابتدائي، وبعدها نقلت إلى مدرسة باب البيض للبنين، ثم انتقلت للمتوسطة الغربية وبعدها الإعدادية المركزية، وتخرجت منها سنة 1950، لأدخل بعدها دار المعلمين في (ذات السنة الواحدة من بعد الإعدادية)، وتخرجت منها سنة 1951 وعينت معلما في قرية (المحلبية) التابعة لقضاء الموصل.

اشتهر يوسف ذنون في مجال الخط العربي، منذ متى ظهر هذا الاهتمام؟.

-الاهتمام بالخط العربي بدأ عندي منذ الطفولة، فقد كنت استطيع رسم الخطوط المختلفة حينما كنت في الصف الرابع الابتدائي وذلك من خلال تأثير الخطوط الموجودة في الكتب المدرسية، فكانت أغلب الخطوط مكتوبة بقلم الخطاط العراقي المعروف (صبري الهلال) وبعدها بخط الخطاط المشهور (هاشم البغدادي).

وقد كنت معروفاً آنذاك بين أقراني في الرسم بشكل عام، وكانت الموصل آنذاك فقيرة بالخطاطين، والمعروف من الخطاطين على الصعيد الإعلامي آنذاك هو (نوري سعيد) ولم يكن يتقن سوى خط الرقعة إلى حد ما، ومعه خطاط آخر وهو الخطاط (فوزي) الذي كان متمكنا من التلاعب بالألوان ورسم الأزهار. وكانت هناك في المدارس حركة تهتم بالخط العربي ولكنها كانت محدودة وعلى نطاق الهواية لدى الطلاب حيث كان البعض منهم يجيد رسم الخطوط البسيطة، وكنت أحدهم، ولكن بطريقتي الخاصة وهي رسم الحروف بقلمين ثم تلوينها.

ولكن بهذه البداية المتواضعة، كيف تمكن يوسف ذنون من تطوير مواهبه ليكون نارا على علم في فن الخط العربي؟.

-كانت تلك هي الفترة الأولى في التعلم والتي اعتمدت فيها على وسيلة التثقيف الذاتي في كل الأنماط، فنمت لدي النواحي الأدبية والتاريخية والفنية، فاستطعت أن ألم بحصيلة جميلة من هذه النواحي.

ومن بعدها كان التفرغ في القرية على مدى سبع سنوات حيث كنت معلماً، فكانت القراءة التي جعلت مني متفرغا ومهتما بالفنون والآثار والتاريخ فسلكت سبل البحث للوصول إلى تطوير إمكانياتي من خلال سفراتي داخل القطر في شتى مدن العراق؛ وكذلك إلى البلاد العربية المجاورة؛ وكانت خاتمتها سنة 1957 إلى تركيا فهناك تعرفت على الخطوط بأرقى مستوياتها، وتعرفت على وسائل تعلمها بالكراريس، فجلبت معي بعض هذه الكراريس لمشاهير الخطاطين العثمانيين الكبار من أمثال محمد عزت وأخيه الحافظ تحسين، فكانت مدرستي الأولى في تعلم الخط، وكذلك بعد أن زرت المتاحف وبعض الخطاطين هناك فتعرفت على أدوات الكتابة ومواد الخط، فتهيأت لي أسباب مرحلة جديدة من رسم الحروف إلى خطها بواسطة أدوات ومواد الخط، وحينما رجعت إلى البلد كان قد ظهر فيها خطاط آخر هو (زهير) وكان يرسم الحروف بألوان جذابة وقد اشتهر بالمدينة آنذاك.

حينها سلكت مساري بشكل خاص في التعلم من هذه الكراريس فوجدت نفسي قد حققتُ مستوىً لم أجده عند خطاطي المدينة، فواصلت المسيرة وحققت نتائج جيدة في الخط، ولم أحاول السير في الاتجاه التجاري في الخط ولكنني قمت وعلى فترات بكتابة بعض اللافتات المتعلقة بالنواحي الوطنية وكذلك بعض اللافتات لبعض المقربين، فكانت إحدى الوسائل التي عرفت المجتمع الموصلي علي.

وفي وقت لاحق افتتح معهد المعلمين في الموصل وتحديدا سنة 1962 ، ودخلت مادة الخط العربي كمادة أساسية فيه فناً وتدريساً مع المواد الفنية الأخرى تدريساً وطرائقاً، وكذلك الوسائل السمعية والبصرية آنذاك بالإضافة إلى الأعمال اليدوية التي تم تعييني فيها في ذلك الوقت في مديرية المعارف (التربية)، وطبعا بما أنني امتلك قابليات ومهارات متعددة من خلال بعض التي دخلتها في بغداد، فقد وقع الاختيار علي لتدريس هذه المادة في المعهد.

وفي المعهد استفدت من الدراسات التي قمت بها فيما سبق عن فن الخط ، فوضعت له طرقا جديدة ومبسطة لتعليمه، فكانت النتائج مبهرة، بحيث أصبح جميع الطلاب مهتمين بالخط فضلاً عن ظهور خطاطين جيدين منهم.

وكذلك قمت في المعهد بإجراء نشاطات لا صفية بعد الدوام اليومي، وكذلك افتتحت لجانا للخط العربي والفن التشكيلي والأعمال اليدوية، ما حقق لدي مجموعة من الطلاب الذين صاروا طليعة الخطاطين في الموصل من ذلك الوقت، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: (باسم ذنون، وعباس الطائي، وعلي حسن، وعلي أحمد، وعبد الغالي عبد الرزاق، وطالب العزاوي، وحسن قاسم حبش، وعلي الراوي)، وهذه النخبة من طلاب دار المعلمين في دورته الأخيرة، وهؤلاء جميعا شكلوا الطبقة الأولى من خطاطي الموصل المتميزين.

يضاف إليهم تدريسي للآخرين سواء كانوا طلاباً في المدارس أو من غيرهم، من أمثال الخطاطتان الشقيقتان (فرح وجنة عدنان)، وكذلك الخطاط (أياد الحسيني، وعمار الفخري، عمار النعيم، وعامر عبد الله ألجميلي، وطبقة كبيرة من الخطاطين والخطاطات والمزخرفين والمزخرفات الذين يضيق المجال بذكرهم، لأن ما ذكرته منهم هو عدد قليل.

هل اكتفيت بالتدريس في المؤسسات التربوية والتدريسية فقط، أم للتاريخ أن يذكرك في تدريس الخط العربي في مجالات وأماكن أخرى؟.

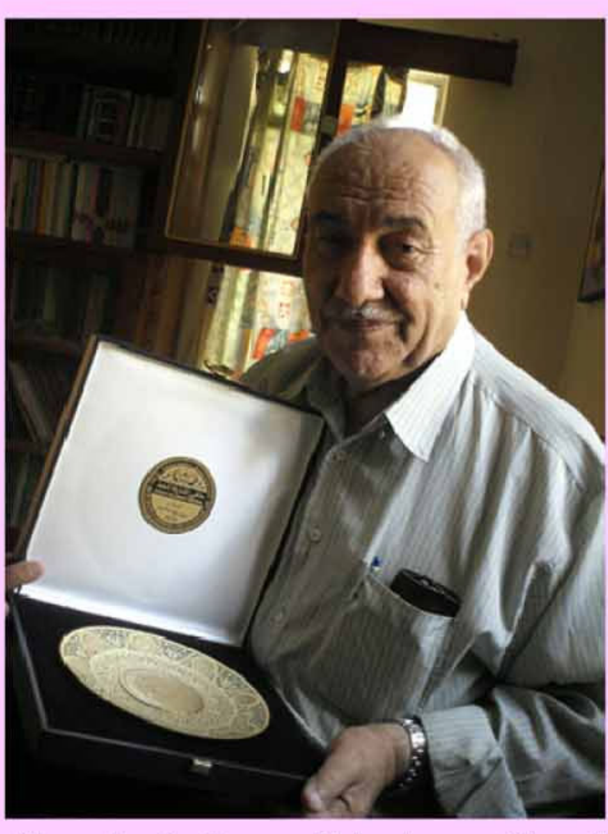
-حقيقة: أقول بأن التدريس بالنسبة لمادة الخط العربي لا يعتمد على الأماكن التربوية الرسمية فقط، لا؛ بل هناك أماكن أخرى وكثيرة هي هذه الأماكن التي يمكن للخطاط التدريس فيها، فقد تطور هذا النشاط ليدخل المؤسسات الفنية والنقابات والتجمعات الشبابية والطلابية، بل حتى أنه تعدى كل ذلك ليمتد إلى المقاهي العامة، وفي ذلك الوقت وكنتيجة للنشاط المتسارع فقد تم تأسيس جمعية باسم (جمعية التراث العربي) لتقدم نشاطها الأصلي المرتكز على الخط العربي والخطاطين من خلال التدريس وإلقاء المحاضرات المتعلقة بالتراث الشعبي والفنون المختلفة في هذه المدينة.

كذلك كان الاهتمام بالعطلة الصيفية من خلال استغلالها في إقامة دورات تعليم الخط العربي لمختلف شرائح المجتمع الموصلي بالمجان؛ وكان ذلك في مدرسة الزهراء وسط الموصل بالقرب من مبنى المحافظة، وكانت هذه الدورات تركز على الطلاب أيضا بجميع المراحل الدراسية ما جعل من مدينة الموصل تصبح معروفة على نطاق العراق بهذه الحركة الفنية المكوكية التي تركز على مادة الخط العربي.

وبعد ذلك كانت لي مرحلة نقل النشاط الخطي الموصلي إلى المستوى العراقي من خلال إقامة معارض لنتاجات الخطاطين الموصليين سنة 1973، حيث أثارت هذه المعارض اهتمام المسؤولين هناك وبخاصة وزير التربية آنذاك الدكتور (أحمد عبد الستار الجواري) فأعجب غاية الإعجاب بذلك المعرض ما دعاه لتقديم الدعوة لرئيس الجمهورية (أحمد حسن البكر) لمشاهدة المعرض، فكرم رئيس الجمهورية جميع المشاركين في المعرض وكنت أنا على رأس المكرمين.

وفي هذه الفترة، وهي مرحلة اشتغالي بالنشاط المدرسي (بعد أن أغلق المعهد) حيث نقلت منه سنة 1970 إلى مديرية النشاط المدرسي/قسم الخط العربي، فوضعت هناك خططا لجعل معلمي ومدرسي ومعلمات ومدرسات التربية الفنية واللغة





العربية ليصبحوا خطاطين، وهذا ما تم لي خلال سنتين فقط، بعدها نقلت إلى الإشراف التربوي والتدريس في معهد الفنون الجميلة سنة1978 مسؤولا عن قسم الخط العربي.

كيف التقيت بالخطاط الكبير حامد الآمدي،وكيف حصلت على الإجازة الأولى؟.

-سعيت لمعرفة المستوى الذي حققته في الخط العربي، فسافرت إلى مصر لعليّ أشارك في امتحانات مدارس تحسين الخطوط وكان ذلك سنة 1963 ولكنني جوبهت بعقبة لزوم الدوام هناك والامتحان بعد ذلك، وذلك يتعارض مع وضيفتي كمعلم، وكانت محاولاتي كثيرة إلى أن قطع أملي من هذا المسعى سنة 1965، وفي ذلك الوقت قمت بكتابة بعض اللوحات الصغيرة ويممت وجهي شطر الجارة تركيا سنة 1966 لوجود بعض الخطاطين من البقية الباقية من العهد العثماني إلى ذلك الوقت، وكان على رأسهم الخطاط الكبير (حامد الآمدي) رحمه الله، فعرضت عليه نماذج من خطوطي الشخصية فأعجب بها لعدة اسباب، الأول هو أنني لم أقلد أي لوحة من كتابات غيري من السابقين بل كانت كتاباتي من بنات أفكاري. والثاني حينما طلب مني أن أكتب أمامه ليتأكد من إمكانياتي الحقيقية، فكنت أكتب بسلاسة وبسرعة الكتابة الاعتيادية، والمعروف عندهم آنذاك أن الخط يكتب ببطء متناه، ولذلك قال لي (أنت تستحق الإجازة)، ولم أكن قد أعددت لوحة للإجازة، فأخذ رحمه الله واحدة من لوحاتي التي قدمتها بين يديه وكان في أسفلها فراغ بسيط، فكتب لي فيها إجازته لي بالخط، وكانت تلك هي الإجازة الأولى.

بعدها تتابعت مراجعاتي له في اسطنبول لاكتساب خبرات اكبر من خلال خبراته الكبيرة والفذة في هذا المجال، وفي سنة 1969 منحني ما أسميه تقديرا منه وما يعد بمثابة إجازة ثانية لي يشيد فيها بتميزي بالخطوط المختلفة التي كنت أجيدها كلها تقريبا؛ والشاهد من اللوحة التي جعلتها كوسيلة إيضاح لأنواع من الخط العربي، فكتبت فيها الآية الكريمة (وما بكم من نعمة فمن الله) ب15 نوعا من الخطوط العربية، وكان باستطاعتي أن أضيف عليها أخرى لأني كنت قد درست تاريخ الخط العربي منذ نشأته وتطوره على مر العصور، وفي بقاع مختلفة من العالم الإسلامي وكذلك درست جذوره في الكتابات القديمة ما قبل الإسلام، وتعرفت على أنواعه في مختلف الحقب الزمنية.

على ذكر تاريخ الخطوط العربية، ما هو أصل الكتابة العربية؟.

-الكتابة العربية قديمة جدا، نشأت تقريبا في الألف الثاني قبل الميلاد، في شبه جزيرة طور سيناء عن طريق عمال مناجم الفيروز فيها، وهؤلاء العمال أصلهم من اليمن.

ومن هنا بدأ الانتشار لدى الكنعانيين، ثم تأكد انتشارها على نطاق أوسع لدى الفينيقيين، وهم كنعانيو الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط الذين قاموا بنشر هذه الكتابة فكانت الأبجدية.

وأخذت هذه الكتابة تتطور عند الجزريين وهم سكان شبه الجزيرة العربية، ومن هنا انتشرت في جميع

أرجاء العالم القديم لتظهر على شكل كتابات أخرى مثل اليونانية القديمة والتي تمخضت عنها الكتابة الأوربية، وكذلك الكتابات الهندية وخاصة السنسكريتية والكتابات الفارسية القديمة، ويستثنى منها فقط الكتابات الصينية واليابانية لأن هذه الكتابات نشأت في بلاد خاصة بها ولازالت إلى حد الآن كتابات صورية ورمزية ومقطعية وليست بالأبجدية.

عودة إلى الفينيقية، فمنها نشأ الخط الجزري الثاني(الكتابة الآرامية)، وكان حظ هذه الكتابة من الانتشار أكثر من غيرها من الكتابات خاصة في المنطقة العربية، فعلى سبيل المثال فقد أخذت الكتابة الفارسية القديمة في زمن الأخمينيين، والسنسكريتية وكتابات الدويلات العربية التي نشأت قبل الإسلام، مثل التدمرية والنبطية والرهاوية التي نشأت منها السريانية والحضرية والمنسوبة إلى مدينة الحضر في جزيرة الفرات، والميسانية والمندائية وهي كتابة الصابئة، وكتابات أخرى معاصرة لها مثل العبرية الحالية (لأنها حافظت على نفسها من التغيير).
وفي الجانب الآخر من الكتابة العربية الجنوبية(الخط المسند)، ومنها الثمودية واللحيانية والصفوية هناك آراء مختلفة حول أقدميتها .

وطبعا الكتابة العربية تطورت بدورها بشكل كبير عن الأصل (السينائي) وصولاً إلى الحضرية والتي أثبتُ في بحثٍ منشورٍ لي بأن العربية مأخوذة (مجزومة) منها، والمرجح أن الحضرية هي المرحلة الأخيرة التي استفادت منها الكتابة العربية.

من خلال بحوثك في تاريخ الخطوط والوقوف عليها، ما هي العلاقة بينها وبين دراستك للتاريخ بشكل عام والبحث فيه؟.

-لكل فن جانبين، الأول علمي والثاني فني بحت، وهذا ما ينطبق على الخط العربي.

ولما كان ارتباط الخط بالقرآن الكريم منذ أن أنزل وإلى يومنا هذا، وهذا ما يسمى بالتاريخ، وهذا التاريخ مداه أربعة عشر قرنا إذا ما أهملنا ما قبله، وهذا ما يمكننا فعله، فالخط وتاريخه يجب أن يُتناول منذ نشوء الأبجدية في هذه المنطقة، وأما ساحاته فهي تمتد من الصين شرقا إلى الأطلسي غرباً، لتعم بعد ذلك جميع أنحاء العالم.

فهذا التاريخ هو المصباح الكشاف لهذه المسيرة بهذا الاتساع وبهذا الإطار الزمني، وقد انعكس ذلك على الحضارة الإسلامية كاملة بما فيها من مخلفات أثرية ولربما امتدت إلى أقدم من هذه الفترة.

ويعتبر الخط العربي العمود الفقري لهذه الفنون، وإحاطتي بهذا الفن جعلني أتمكن من أن أقرأه عبر كتابات القرون الطويلة وعلى مر العصور التي تتابعت على تطور الخط العربي، وهذه تعتبر صفة مميزة من مميزات الخط العربي، بالإضافة إلى خبرات حياتية طويلة في التراث الشعبي والتراث الخاص بمدينة الموصل.

يعتبرك المتابعون أحد أهم المراجع في التراث الموصلي، ما السبب؟.

-بحكم الثقافة التي تمرست فيها، والزمن الذي عشته في الموصل بين أزقتها وحواريها، أطالع جدرانها العتيقة والزخارف التي تعلو أبواب بيوتها والرخام المنقوش بأيدي أمهر النقاشين الموصليين عبر السنين الطويلة، والتدقيق في كل ذلك وغيره من ملامح الموصل الخاصة بها دون أي مدينة في العراق أو دول الجوار، تكونت لدي حصيلة كبيرة جدا من المعلومات حول تراث هذه المدينة سواء في لغتها وأمثالها، أو في عمائرها وأزقتها، أو في عاداتها وتقاليدها، إلى آخر ما هنالك من مخلفات حضارية في كل الجوانب وبخاصة الجوانب سابقة الذكر، أو التي تتعلق بالجوانب المعيشية والحياتية لكافة شرائح المجتمع الموصلي وذلك كله من خلال المحاكاة المتعمقة والاحتكاك المباشر بهذه الشرائح كافة في المجتمع الموصلي، وأنا أعُد ذلك أمانة أنقلها للأجيال القادمة.

تتلمذ على يديك خطاطون كثيرون من الموصل والعراق، بل وحتى من الدول العربية والإسلامية. هل يمكنك أن تذكر لنا البعض منهم؟.

أنا ذكرت بعضا منهم في ما سبق من هذا الحوار، وهم الدفعة الأخيرة من دار المعلمين والدفعة الأولى من معهد المعلمين، وسوف نأتي على ما تسعفني الذاكرة منهم لذكرهم.

على صعيد مدينة الموصل وهم اكثرية تلاميذي:

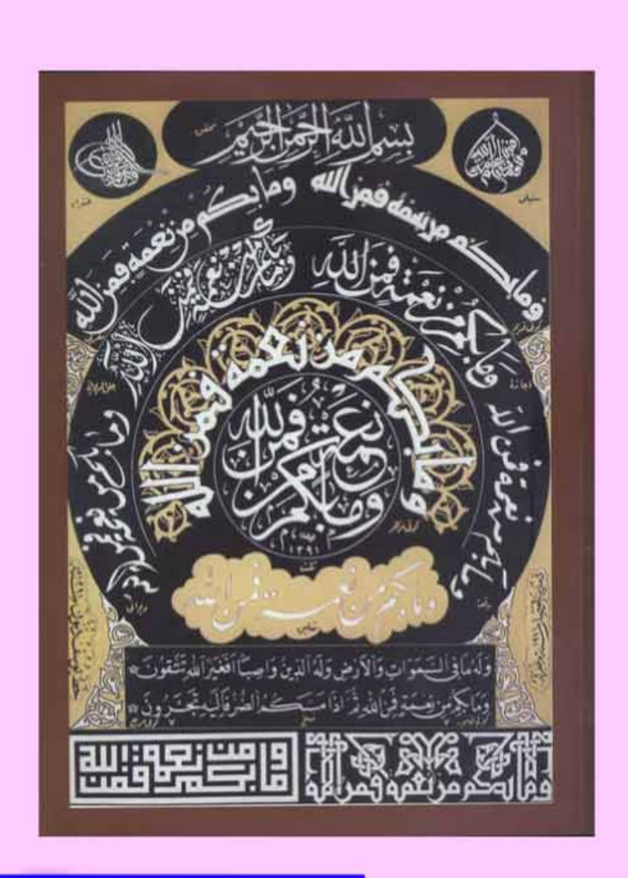
د. نوفل الشهواني، عمار الفخري، علي الراوي، باسم ذنون، أياد الحسني، طالب العزاوي، سالم عبد الهادي، عباس الطائي، عبد الغالي عبد الرزاق، د. مؤيد صديق، وعد الله محمد داؤد، حسن قاسم حبش، عبد المنعم مجيد خطاب، عمار عبد الغني، ابراهيم المشهداني، احمد اسماعيل، زكريا عبد القادر، د. ادهام محمد حنش، بهنام فتوحي، الشقيقتان جنة وفرح عدنان، د. عامر الجميلي، ومن تلعفر. حيدر زكر، محفوظ ذنون.

ومن المحافظات العراقية:

احمد عبد الرحمن، زياد المهندس، جمشيد عبد الواحد، نجاة رسول، من أربيل. ومن كركوك كل من نجاة حميد، عطاالله احمد، مخلف عطية. ومن السليمانية. محسن حسين. ومن الطوز صفوت نديم. ومن دهوك صديق حامد. ومن الكوت جواد الغرباوي، عبد الحسين رضا. ومن البصرة فاضل شهاب داؤد. ومن بغداد عبد الرضا جاسم القرملي. ومن الأنبار علي المحمدي. ومن ديالى واثق محمود.

ومن الأخوة العرب والمسلمين:

عبدالله الحساني من العربية السعودية، وناصر النصاري، عبد الرقيب العودري، عبد الرحمن الجنيدي من اليمن. ومن تونس الجيلاني الغربي، فرج ابراهيم. ومن الأردن منتصر الحمدان. ومن المغرب حميدي بلعيد، د. فوزية عدنان. ومن الجزائر حسين عيسى، مناد بن حليمة، صالح المقبض. ومن الكويت علي البداح. ومن تركيا د. تحسين طه.







حسن المسعودي
يفرد شراع الخط العربي ويبحر في سفينة المخيلة

شهيرة أحمد

من العالم المرئي المحدود في حيزه المكاني والزماني إلى العالم المتخيل المنفلت من كل أشكال القيود يأخذك الفعل الإبداعي في تجلياته كافة؛ بيد أن الخط العربي حين يصبح صيغة بصرية وبنية تشكيلية يضيف إلى تلك الحرية التي ترتع فيها المخيلة شيئاً يسمو بالروح إلى عالم جمالي، لا يقف عند حدود الشكل بل يغور عميقاً في عوالم الدلالة وتجلياتها وفيوضاتها.. عندها يكون «العين» عيناً تبصر، ويكون «السين» سفينة تبحر في المخيلة المفرودة إلى آخرها.. ألم يقل ابن عربي إن الأحرف (أمة من الأمم)؟.

أتحدث هنا بالطبع، عن تلك التجارب التشكيلية التي تعاطت مع الخط العربي بمسؤولية عالية، فنياً وموضوعياً، فأنجزت ألقاً يستحق أن يقول المرء إنه اللوح الذي انعكس عليه ألق الحضارة العربية الإسلامية.

ها هنا، قراءة في واحدة من تلك التجارب، التي شقت لنفسها طريقاً يخصها، ونجحت في تقويل وتحميل الخط العربي من الدلالات المعاصرة ما يسمح باعتباره إضافة جديدة للإبداع التشكيلي، من دون أن تتخلى عن قيم الخط العربي الأصيلة.

نشأ الخطاط والفنان التشكيلي حسن المسعودي في حضن الخط العربي، فقد كان محاطاً بالخطوط العربية المنقوشة على جدران المعالم المعمارية والمساجد والمقابر والمدارس الدينية والمكتبات في النجف بالعراق، لكن اكتشافه للخط العربي يعود إلى خاله الذي كان خطيباً وكاتباً وخطاطاً هاوياً، حيث رآه يخط بقلم القصب وبالحبر الأسود وعمره خمس سنوات. وستمرّ خمس سنوات أخرى قبل أن ينجز الفتى الموهوب خطوطاً ستجذب انتباه المعلم في المدرسة الابتدائية

وتنال استحسانه وتشجيعه. وليسهم بعدها في معارض الرسم والخط خلال سنوات الدراسة الابتدائية والمتوسطة، ثم ليعمل خطاطاً وينجز اللوحات الإعلانية التي لم تستجب لتوثبه الروحي وما يمور في أعماقه من رغبة في التعبير الفني، تحيا جنباً إلى جنب مع حلم يراوده وهو الذهاب إلى باريس لدراسة الفن، وهو الحلم الذي انتظر ثماني سنوات لكي يرى النور في العام 1969 عندما شد الفنان التشكيلي العراقي حسن المسعود رحاله من بغداد ليحط في باريس.

العودة إلى النقطة الأولى

بضع أقلام من القصب التي يستخدمها الخطاطون حملها معه من بغداد كانت هي خير معين للمسعودي لكي يحقق حلمه ويدفع مصاريف الدراسة، حيث أنجز بها بعض الخطوط العربية لصحيفة جزائرية تصدر في باريس. لكن التحدي الحقيقي بدأ بعد أن أنهى دراسته في «البوزار» وحصل على الدبلوم الوطني العالي للفنون التشكيلية. في ذلك الوقت شعر أن يتجه فنياً نحو طريق مغلق، سينفتح أمام طرقات الخط العربي الملحة على جدران الوعي، وسيكون نقطة البداية في رحلة تجريب طويلة شملت الخط نفسه وأدوات العمل وتقنياته ومضامينه.



لم تهدأ رغبة الإبداع المتوثبة في روحه، بعد مرور 13 سنة من ممارسة الفن ودراسته أكاديمياً. ظل المسعودي يشعر بأنه ليس خطاطاً بالمعنى المتعارف عليه تقليدياً وليس فناناً تشكيلياً بمستوى الدبلوم العالي الذي منحته إياه «البوزار»؛ ولم يقنعه أي منهما. آنذاك، تذكر مثلا إفريقيا يقول: «عندما لا تعرف أين تذهب تذكر من أين أتيت» وهكذا.. بدأت رحلة العودة إلى المنابع الأولى.. إلى الخط العربي لدراسته من جديد. لاحق الخط في كل مكان، حلل وثائقه في الكتب والمتاحف، سافر إلى الخطاطين في القاهرة واسطنبول ليقف منهم على ما لم يتمكن من إدراكه، وكان في بحثه هذا متسلحاً بالمعرفة التشكيلية والثقافة التاريخية التي حصل عليها في «البوزار» والتي أعطته منظاراً آخر لرؤية الخط العربي القديم. هذه المعرفة المتخصصة بالعالمين: عالم اللوحة التشكيلية وعالم اللوحة الخطية هي واحدة من المداميك الأساسية التي جعلته يجترح لوحة فارقة ولها مميزاتها وملامحها. فالحروفية كما هو معلوم تنوس بين أقنومين إبداعيين: بصري ذو مرجعية مادية وشكلية وصوتية وتشكيلية، ودلالي يتمثل في المعاني التي تحملها الكلمات والعبارات.

تحرير الحرف

يشتغل الخطاط والفنان التشكيلي العراقي حسن المسعودي في منطقة إبداعية وعرة بلا شك، وفي دائرة من التحديات الفنية المتلاحقة التي تضعه كل لحظة أمام إشكالات فكرية ومعرفية متواترة لعل أهمها إنجاز صياغة فنية جمالية للخط العربي لا تقع في تكرارية سابقة ولا تقلد ما أنجزه الآخرون تاريخياً.. بل تجترح حضورها عبر علاقة معاصرة مع اليوم والراهن. بهذا المعنى، وفي هكذا تجربة، لا تعود الأحرف مكتوبة وفق آلية بعينها بل تخضع لآليات تشكيلية متفردة ومتجددة.

فالمسعودي يستثمر إمكانيات الحرف وديناميكيته على نحو خلاق، بحيث يعيد تشكيله في نظام بصري رمزي تجريدي يتجاوز حاجز المعنى. بكلمات أخرى، لا يبدو الحرف هنا حاضراً فنياً فقط كما في تجارب أخرى تستلهم الخط جرافيكياً، أو مجرد حامل للمعاني والدلالات التي يمكن العثور عليها في أي تجربة خطية كلاسيكية بقدر ما هو محرَّر (بفتح الراء الأولى وتشديدها) من شكله البصري الذي ألفته العين في الكتابة، ومحرِّر (بكسر الراء وتشديدها) للمعاني من جسدها القديم.

الخط هنا يتجلى في قيمته البصرية والدلالية كفعالية إبداعية تتقصى أثر المعرفة وتغوص في مداراتها الصوفية والعرفانية متحررة من نظام الكتابة الصارم وبرود الصنعة إلى جنّات الإحساس المتدفق، وتلونات الذات وفيوضاتها الدافئة المتحررة من النمذجة المسبقة.

مأوى اللحظات

بالنسبة الى المسعودي فقد تحقق التوحد بينه وبين الخط، فانعكست تجربته على هذا الفن الذي أصبح «مأوى للحظات المأساوية والمغرمة والمتطلعة التي عشتها»، ولهذا يرى المسعودي أن «الحرف العربي يمتلك قدرة كبيرة جدا تمكن الفنان من أن يبني أعماله الفنية تحت أفيائها».

لم لا... فالحضارة الإسلامية هي حضارة الإشارة بامتياز، وقد اتسعت في السابق، ويمكنها أن تتسع في اللاحق، لتجارب فنية كثيرة ومتنوعة وما التجارب التي مورست وتجري ممارستها في مجال الخط سوى واحدة من التجليات الكبرى التي يمكن العمل عليها.

في أعماله الخطية التي تبدو مثل منحوتات كبيرة معلقة في فضاءات جمالية ثمة متسع للكثير من التجريب، يمكنك سماع اللون أو موسيقاه وهو يتثنى في شحنات دراماتيكية. يمكنك الوقوع على الألم في الشعر مترجماً في خطوط عريضة تغلق الفضاء وتثقل التكوين، هذه الحروف العريضة والحركات الراقصة التي تكوّن تشكيلاته الخطية والتي يبتكرها تنتمي إلى الخط العربي بوضوح لأنها، حسب قوله، «نابعة من كل ما تعلمته أثناء عملي مع الخطاطين لكنها في الوقت نفسه لا تشابه الخط العربي المعروف، فبعد سنين عديدة من الاغتراب لا يمكن أن يبقى الإنسان كما كان عليه سابقاً، فالخط ما هو إلا مرآة تعكس حياة الخطاط نفسه».

يضيف: «الحروف عندي ليست مجرد كتابة إنما هي عمل فني بحد ذاتها، والحرف هو نفسه طاقة، ولا بد أن يعكس شيئين: الأول هو القوة والدقة والثاني هو الاسترخاء والرهافة، فيجب أن يعكس الحرف مسيرته هو نفسه، الدفع مرة والسحب مرة اخرى، السرعة أو البطء، الثقل أو الخفة، الاستقرار أو الانفجار.

إن عملية ولادة خطوط جديدة هي معاناة أيضاً، إذ لا بد من المرور بحالة التمرد على الخط القديم والانفصام عنه، ومن ثم العودة للحوار مع هذا الخط القديم نفسه، ففي يوم أشعر بأنني مع الخط القديم وفي يوم آخر أجدني بموقع مضاد له. أدرك جيداً ضرورة الاستلهام من تركة الخطاطين القدماء، ولكن في الوقت نفسه أريد التغلغل عميقاً في الحياة المحيطة بنا، ومعرفة موقعنا في العالم، ودورنا الثقافي نحو مجتمعنا ونحو البشرية جمعاء».

ولا يقف جهد الفنان التشكيلي حسن المسعودي التجديدي على عتبة الحرف بل يمتد إلى التقنية والأداة التي يرسم بها والتي من خلالها تمكن من رسم خطوط عريضة، يقول: «أعمل خطوطاً عريضة بشكل مباشر، محاولاً الإسراع قدر الإمكان، وابتكر الآلة للخط بالعرض المطلوب، فالخط العربي التقليدي يخط بالقصبة، بينما كل الخطوط العريضة التي عُملت على الجدران كانت تُرسم وتُملأ بفرش دقيقة.

وأعرض آلة عملتها لحد الآن كانت بعرض 50 سنتمتراً، والخط المباشر على الأرض كان على ورقة بقياس 3 أمتار × 5 أمتار. أكثر خطوطي أعملها بآلات مصنوعة من الكارتون السميك أو الفرش، آلات تشابه شكل منقار القصبة الخطية المعروف سابقاً، ولكنها مُكبرةٌ عشرات المرات. أغمسها بالألوان وأسحبها ضاغطاً على الورق، وأبتغي دائماً المحافظة على مظهر للحروف يوحي للمشاهد بأن هذه الحروف مستمدة من الخط العربي، وذلك عبر الانحناءات للآلة على الورق.

بعض الحروف يشبه تماماً شكل الحروف القديمة وأخرى تغيرت بسبب الظرف الجديد، أحاول أن أبقي على أشكال الحروف من حيث شكلها العريض والرفيع حسب قوانين الخط العربي القديم، كما أعي ضرورة الإبقاء على كل ما هو جوهري في الخط العربي، أحاول ذلك قدر الإمكان، وأود أن يبقى هذا مرئياً في خطوطي، فالهدف بالنسبة إلي هو إضافة تطوير وتجديد في الحروف العربية كما حصل باستمرار في تاريخ الخط العربي بالماضي. أريد أن تكون خطوطي نابعة من الخط العربي القديم ولكن لا تشابهه، وأهتم كذلك بفضاء الخط العربي، أي البياض المحيط بالشكل للحروف، وأرى التكوين الخطي كشجرة وحيدة في فضاء الصحراء حولها وخلفها فراغ لا حدود له».

هنالك أشياء كثيرة آتية من الخط العربي القديم تبقى تفرض جمالياتها، ويمكن أن نستفيد من كل هذه التركة الثرية، وأن نضيف إليها كل ما تعطينا إياه الحياة المعاصرة، من معلومات وثقافة جديدة واكتشافات بمجال الفضاء. اهتم بالفضاء خلف الخطوط في كل خط أعمله، وأرى أشكالي الخطية كتماثيل عالية في السماء، تقاوم ضغط الفضاء وتكافح ضد سحب الجاذبية الأرضية».

فاكهة الاندفاع الداخلي

يستلهم المسعودي أعماله من الطبيعة وأشكالها، الشجرة مثلاً هي موضوع أثير لديه، فالشجرة المائلة تثير الحزن لأنها توحي له بالسقوط، فيما توحي له شجرة أخرى منتصبة يدفع النسغ أغصانها نحو الأعلى بالشموخ والزهو. فإذا ما أراد التعبير عن هذه المعاني فإن الحروف ينبغي أن تكون كالأغصان، لأن الخط يعبر عن الكامن خلف المظاهر الطبيعية كما أنه يعكس رؤية الفنان أو إحساسه الداخلي بها، وربما يذهب الفنان بعيداً في غواية الإبداع فيصبح سيد نفسه ولو للحظات قصيرة... عندها، قد يخط كلمة خفيفة ويطير معها.

مع كل عودة جديدة للخط لا بد، حسب الفنان، من التفكير بتغيير الاتجاه، «فربما سيكون من الأفضل اختيار البطء بدل السرعة، ولكن السرعة تبقى دائماً من اهتماماتي الآنية، إذ إنها تعكس الزمن المعاصر، وبالتالي تسمح بقطف فاكهة الاندفاع الداخلي، تسمح للأحاسيس بالمرور بسرعة أمام الفكر وعدم الرضوخ لطغيانه باستمرار، كما في الموسيقى المعاصرة أو الرقص الحديث، عندما أنظر إلى الراقص يطير في الفضاء أشعر وكأنه يترك جسمه يخط الكلمات في الفضاء ولكن كيف يمكن الطيران بحرية من دون السقوط؟

كيف تعمل الطيور؟ لا بد من طاقات كبيرة للتغلب على الجاذبية والسماح للأحاسيس الجسدية بأن تخط بسرعة فائقة، أريد لخطوطي أن تعكس انتماءها للقرن الواحد والعشرين، هذا القرن الذي يعيش عصر السرعة التي أوصلت الإنسان إلى القمر.

بين الماء والنار

في أعماله الفنية التي عرضت مؤخراً في أبوظبي، يقول الخط وجدانيات الذات الصاعدة في معارج الدلالة، معاناتها، حرارتها، آلامها، أشواقها، مخاضاتها التي لا تنتهي عند عنق (العين) أو قوس (السين) أو رأس (الألف) الفارعة... ربما تطول الحروف وتقصر، تكبر وتصغر، تتكثف وترقّ، حسب المعنى وعلى هوى الدلالة، خصوصاً في تلك الأعمال التي تجسد مقولات الحكمة المنتقاة بعناية فلسفية – إذا جازت العبارة – أو الأبيات الشعرية الطافحة بالألم والفرح والغربة وغيرها من المشاعر الإنسانية التي تحولت في أعمال المسعودي إلى طاقات تعبيرية تستلفت النظر.

يقول المسعودي عن علاقته بالشعر وقدرته على إبداعه تصويرياً: «في بداية الثمانينات، قررت أن أعمل تكوينات تجريدية أساسها الحرف العربي ولكن دون أي معنى غير شكل الحروف، اكتشفت بعد فترة قصيرة أنّ هذا الطريق لا يناسبني، لأني أضع أشكالاً تتشابه باستمرار أي إنني أضع دائماً التساؤلات نفسها والأجوبة نفسها من الناحية التشكيلية، بينما يمكن أن تفرض الكلمات بمعناها أشكالاً لم أفكر بها مسبقاً. مثلاً إن النار من طبيعتها الصعود إلى الأعلى، وخط هذه الكلمة يوحي بتكوين عمودي يرتفع بينما خط كلمة ماء سيأتي بشكل أفقي، يود الهبوط إلى الأسفل.

وهنا جاءت الحاجة إلى نصوص لخطها، أي عبارات سأخطها؟ فضرورة التحطيم للعبارة وإعادة بنائها تتطلب أن أجد نصوصاً أدبية يمكنها تحمل هذه المعاناة، وهكذا فرض الشعر العربي دوره، كمادة أدبية لعملي الفني.

أولا، لأن الشعراء سوف يزيدونني ثراءً بصورهم وأفكارهم وأحاسيسهم، وثانياً لأن الشعر يعطي للتعبير التشكيلي الحرية في كسر الكلمات من جهة وإعادة بنائها من جهة أخرى. فالشعراء هم أيضا يلعبون بالكلمات. هنالك شيء مهم في الشعر يقترب من الخط، فالشاعر لا يبوح بكل الكلمات ولا يعطي كل المعاني، إنما يترك لذكاء السامع إكمال الصور الشعرية، وإعطاء معنى قد يختلف عما أراده الشاعر، فيسمح له بأن يلبي رغباته الذاتية، وبالتعبير عن إحساساته وأفكاره الشخصية، فتمتزج كلمات الشاعر بأفكار وإحساسات السامع. وهذه الإمكانية المعطاة للقارئ ما بين الكلمات، لكي يخلق صورةً هو أيضاً، لها أهميتها الكبرى للإنسان، لأن العقل البشري بحاجة لتحرير صوره وأفكاره وإخراجها كل يوم. الخط يشارك الشعر جوهرياً في هذه القدرات التعبيرية، ولما كانت كل الفنون أخوة، وكل فن يضيء الطريق للآخر فان اقتراب الخط من الشعر يزيد من قدرات التعبير التشكيلي للخط.

اتجه دائما نحو الشعراء، آملاً أن يغذوا عملي التشكيلي بصورهم الشعرية، وهكذا تمكنت باستمرار من أن أجد أجواء جديدة، فإنني أبحث عن الإيحاءات ككل فنان، ورغبتي أن تلتقي صوري الخطية بصور الشعراء لكي يولد طريق جديد، أريد أن أضع صوراً مرئية بجانب صورهم الافتراضية.

وإني متأكد هنا من صحة استعمالي كلمة «صور» عند التكلم عن الخط، فبالنسبة لي الكتابة هي بنت الصورة، فالكتابة السومرية والمصرية القديمة لم تكن إلا صوراً مبسطة، والحروف الأبجدية فيما بعد كانت كذلك، والخط ما هو إلا جوهر صور، ولكن أي نوع من الصور؟ إنها صور أصلية وليست صوراً طبيعية أو فوتوغرافية، صور كالعلامات تنشط نظر وتفكير المشاهد».

ثمة ما ينبغي قوله عن هذه التجربة فيما يخص علاقتها بالشعر، وهو أنها لا تتوسل الأدب لكي تعلن حضورها الإبداعي، ولا تتكئ على دلالاته بقدر ما تصنع دلالاتها الخاصة ناسجة صورة فنية بليغة لا تقل بلاغة عن الصورة الشعرية.. إنها المخيلة مفردوة إلى الآخر... المخيلة بلا أسوار.

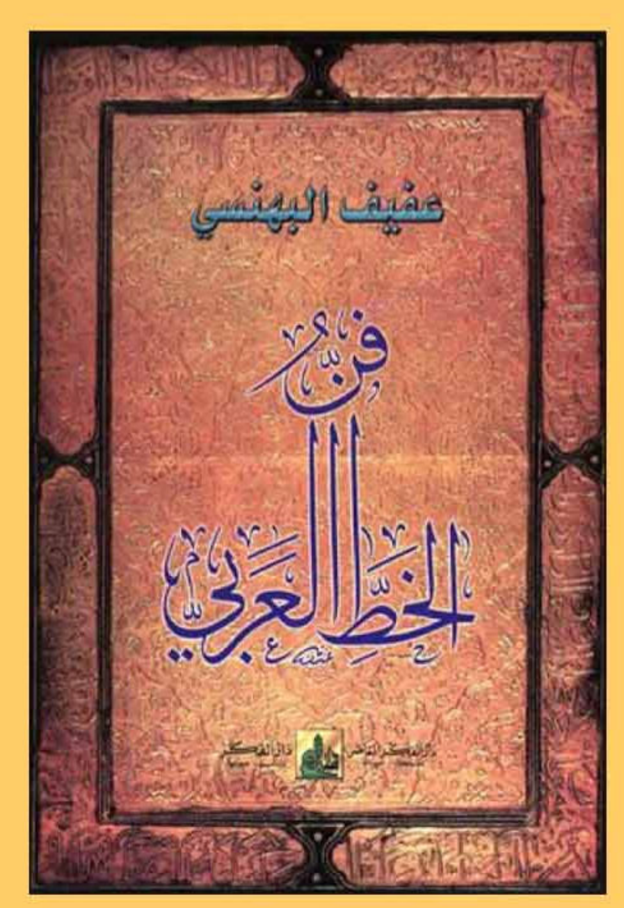
نبذة إبداعية

ولد الخطاط العالمي حسن المسعودي بمدينة النجف بالعراق سنة 1944. عمل خطاطا ببغداد ثم سافر سنة 1961 إلى فرنسا حيث تحصل من مدرسة الفنون الجميلة بباريس على دبلوم عال في الفنون التشكيلية. اجتهد حسن المسعودي لنشر القيمة الفنية للخط العربي في أوروبا إذ قدّم حوالي 36 فيلما وثائقيا عن الخط بثّت على القناة الفرنسية (TV5).

أقام أكثر من 60 معرضا شخصيا بفرنسا وأوروبا والدول العربية، اقتنت أعماله عدة مؤسسات دولية عامة منها مطار الملك خالد الدولي بالرياض ومتحف الفنون الإفريقية بباريس، متحف ستيدلجك ومتحف ستيفري بهولندا، والمتحف البريطاني بلندن، متحف فرحات للأعمال الإنسانية.للمسعودي مؤلفات هامة ساهمت في تعميق دراسة الخط العربي والتعريف بتجربته التشكيلية الإنسانية مع الخط، كتاب «الخط العربي»، «حسن المسعودي الخطاط»، «خطوط الأرض».







فن الخط العربي تأليف: د. عفيف بهنسي

يبحث في جمالية الخط العربي فناً تشكيلياً إبداعياً يبرز عبقرية الخطاطين العرب والمسلمين، ويتحدث عن أصول الكتابة العربية ونشأة الخط العربي وتتنوع أساليبه وأروع آثاره وعلاقته بالهندسة الكونية وتطور الإبداع فيه حتى العصر الحديث، مع مجموعة ملونة من صور الخطوط توضح النص وتوثقه. يبحث في جمالية الخط العربي بوصفه فناً تشكيلياً إبداعياً، أبرز عبقرية الخطاطين العرب والمسلمين. وهو كتاب جامع يتحدث عن أصول الكتابة العربية، ونشأة الخط العربي وتنوع أساليبه، وفيه عرض لأشهر الخطاطين، ولأروع الآثار الخطية، وبخاصة المصاحف الشريفة، وعلاقة الخط البديع بالنص المقدس. كما تحدث عن علاقة الخط بالهندسة الكونية. و يضم مجموعة ملونة من صور الخطوط، للتوضيح والتوثيق.

المستخلص

يبحث هذا الكتاب في جمالية الخط العربي بوصفه فناً تشكيلياً إبداعياً، ويبرز عبقرية الخطاطين العرب والمسلمين. ويتحدث - وهو كتاب جامع - عن أصول الكتابة العربية، ونشأة الخط العربي، وجذور الكتابة العربية، وانتشار الأبجدية الأولى، الأصول المباشرة للكتابة العربية، وتطور الخط الجميل، وأشكال الخط العربي، وأنواع الخطوط. ويعرض لأشهر الخطاطين والخط في العصر العباسي والعصر العثماني، وفي العصر الحديث في بغداد والقاهرة ودمشق، بالخطوط المتنوعة الأساليب. ويعرض أروع الآثار الخطية ولاسيما المصاحف الشريفة، والخط في النص القرآني، ويبين روائع الخط المصحفي، والتذهيب والزخرفة في المصاحف، مع إشكالية الرسم العثماني، ويوضح علاقة الخط البديع بالنص المقدس. ويتحدث عن معنى النص الخطي، وجمالية الخط عند التوحيدي، وشروط الخط الجميل وأدوات الكتابة والخط، ومبادئ تقنية في الخط، وعلاقة الخط بالموهبة والدربة، ومزايا الزخرفة والترقين والمنمنمات، مع أقوال في مزايا الخط والميزان فيه. ويتحدث عن علاقة الخط بالهندسة الكونية، وتطور الإبداع فيه، حتى العصر الحديث حيث ظهرت الأساليب الحروفية في التصوير. ويبحث في تاريخ الخط العربي وهويته، وشكله ومضمونه، وعناصره الفنية ومرجعيته، وروابطه بالشعر، وانتشاره في بلاد الإسلام والعالم. ويضم مجموعة ملونة من صور الخطوط لتوضيح النص وتوثيق روائع هذا الفن في المشرق والمغرب.



اشارات في الخط العربي



محمد مظلوم / خطاط وباحث

الكتابة الجميلة تزين النص في لوحة الخط العربي وتضيف اليه قيمة تأويلية مميزة . لان الكلمة تجسم وتمثل الصورة على شكل تناغم موسيقي مرتبط بالمعاني . وهي بدورها تعتبر الامتداد الطبيعي لتثبيت فن الخط . فالتأنق في كتابة كلمة او جملة والحرص على توضيحها ما هو الا دليل على احتفاء الخطاط بمضمون تلك الجملة ، فالخط والفكرة يؤازر كل منهما الاخر ويحفزه على المزيد من الاناقة وعمق الدلالة وروعة التعبير . فمن ساحة الفكر المخزون يقفز نص جذاب او حكمة مأثورة او آية كريمة يرافقه تخيل مبدئي لنوع الخط الذي ينبغي ان يكتب به ، ومع اعمال الفكر واجهاد القريحة تبدأ ملامح التكوين الخطي تظهر رويدا رويدا للروح ثم تنفذ اليد للابداع الحقيقي . كما ان الرابطة الحميمية التي تجمع مثلث العقل والروح والعين بدءا بالتوافق المنضبط في النسب المطلوبة بين الحروف والتناغم المألوف بين الحركات ، والانطلاقة الوثابة لبعض الكلمات لتنصهر في علاقة واضحة بين نوع الخط ومعنى الكلام المخطوط في بناء لوحة قادرة على التعايش مع الوسط الفني زمنا طويلا .


مجلة المختار الالكترونية
ENTRY
EXIT